سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير
AL HADAF
الهدف

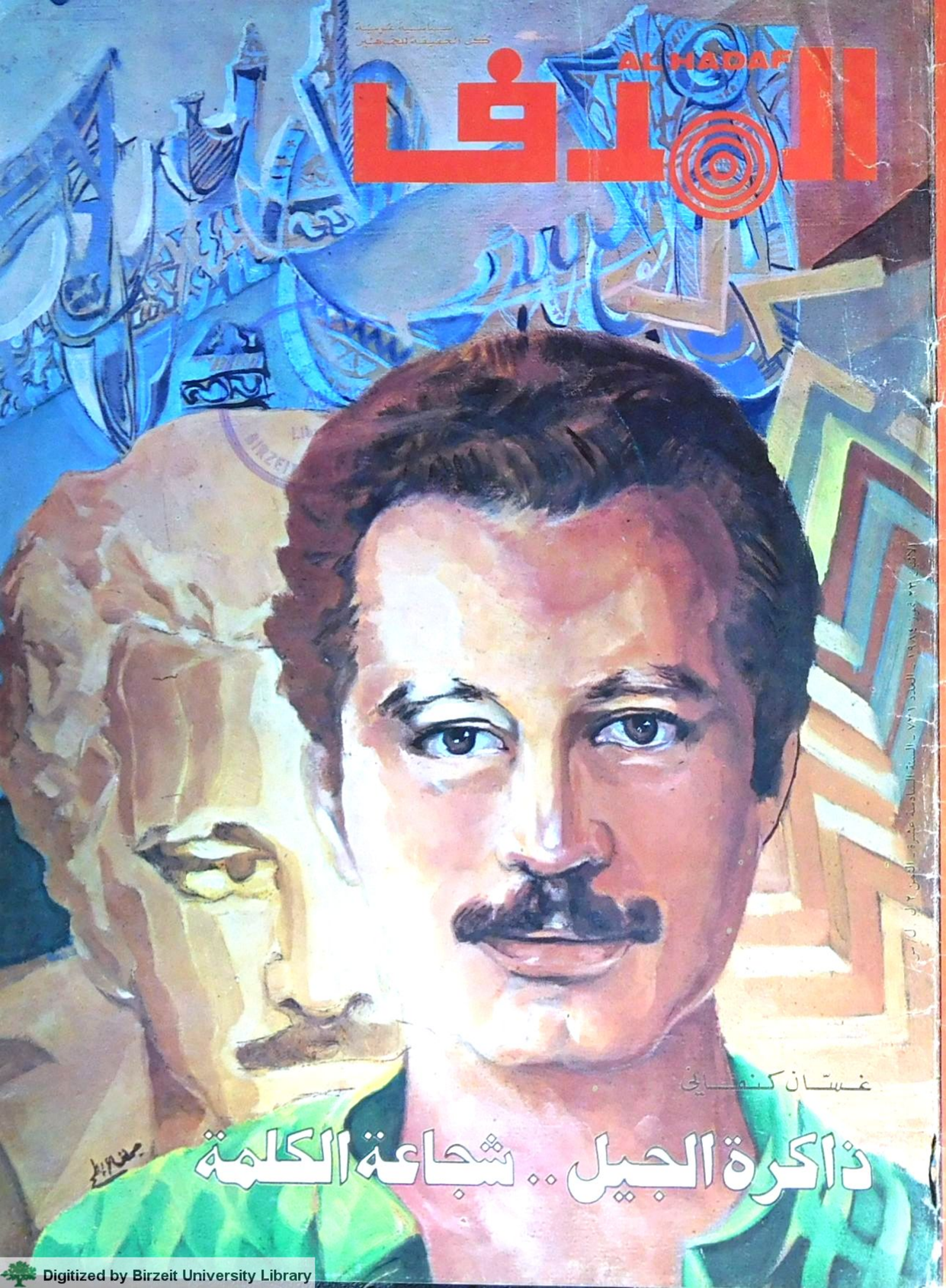

غسان كنفاني

ذاكرة الجيل .. شجاعة الكلمة

٣٦ فبراير ١٩٨٤ - العدد ٧٠١ - السنة السادسة عشرة - الثمن ٢ ل.س

رسالة الى طلال سلمان :

بسام أبو شريف

الرصاص الغادر انطلق مرة أخرى من فوهة مسدس صهيوني ليصيب هذه المرة طلال سلمان .

وقبل اثني عشر عاماً انفجرت عبوات صهيونية لتغتال غسان كنفاني .

وبين هذه المحاولة ضد طلال سلمان وتلك التي أودت بحياة غسان كنفاني عشرات محاولات اغتيال واغتيالات . . أودت بحياة عدد كبير من الأدباء والصحفيين العرب .

فما هو القاسم المشترك بين هؤلاء ولماذا يتتبع العدو الخارجي والداخلي أصحاب القلم .

جوابنا واضح على ذلك كل الوضوح .

فهؤلاء الأبطال جميعاً ليسوا أصحاب قلم مسخر لخدمة السلطان أو المساومة على حقوق الوطن والمواطن . بل هم جميعاً أصحاب قلم وطني أشهر سلاحاً ماضياً على الجبهتين الخارجية والداخلية .

طلال سلمان هو «السفير» التي تحوّلت في ظل الاحتلال من صحيفة وطنية إلى أداة تعبئة ومقاومة للاحتلال الصهيوني .

طلال سلمان هو «السفير» التي تحولت من صحيفة وطنية ماقبل الحرب الأهلية ضد الفاشيين إلى سلاح تعبئة وتحريض ضد الفاشيين الذين ارتبطوا بالعدو الصهيوني .

طلال سلمان هو «السفير» التي عاشت الام الكادحين اللبنانيين ومعاناتهم فوقفت لهم نصيراً ومنبراً .

لهذا كله أدرج اسم طلال سلمان على لائحة التصفية في تل أبيب وعلى نسختها لدى الفاشيين .

لقد نجا طلال سلمان بأعجوبة من محاولة الاغتيال .

وعلقت تلك الرصاصات الغادرة أوسمة شرف على فكه . لكن تلك المحاولة الغادرة لن تكون الأخيرة ، كما لم تكن الأولى ، في مسلسل محاولات العدو اغتيال الكلمة الوطنية الشجاعة واغتيال الحقيقة وإخفائها عن الشعب .

فالمحاولات ستستمر لارهاب أصحاب القلم ولمنعهم من المساهمة في معركة الوطن والوطنيين .

لقد تعود أصحاب القلم الوطنيين في وطننا العربي أن يسيل الحبر من أصابعهم دماً .

لقد تعود أصحاب القلم الوطنيين أن يدفعوا ثمن دفاعهم عن الحق وأن يستمروا قابضين على الجرح مهما ثخن .

لقد تعودوا ألا يلينوا أمام الارهاب والاغتيال والملاحقة .

لقد تعودوا أن يراكموا هذا التراث الغني من الدفاع عن الحريات الديمقراطية ليبنوا للأجيال القادمة صرحاً منيعاً يحتمي به المواطن كما يحتمي به الوطن من هجمات العدو الخارجي والداخلي .

فياأخي طلال لقد علقت على صدور الصحفيين في هذا الوطن أوسمة شرف بصمودك وباستمرارك في النضال والتصدي للعدو بالرغم من كل التهديدات والمحاولات .

نحن معك كتفاً إلى كتف .

نحن إلى جانبك في خندق واحد .

فلتستمر مسيرة التراكم لأنك عندما أصدرت «السفير» لم يكن بذهنك لحظة واحدة أن النضال بالكلمة سيكون أسهل أو أقل ثمناً من النضال في ميدان النضال بالسلاح .

Digitized by Birzeit University Library

كي لاننسى

«جسير»

اسمها تصغير لكلمة جسر ويلفظها الأهالي «الجسير» ويقول شيوخ القرية انها كانت احدى محطات الحجاج واقيمت بين جسرين على الوادي الذي يمر ببلدهم فعرفت باسم محطة الجسرين ، ثم حُرفت الى «جسير» وتقع هذه القرية بين قريتي «صُميل» و «حتى» وعلى بعد ٤٦ كم الى الشمال الشرقي من مدينة غزة وترتفع عن مستوى سطح البحر ١٠٠ م . مساحة اراضيها ١٢٣٦١ دنم . وهي اراضي سهلة صالحة للزراعة ، تحيطها من الشرق تلال غير مرتفعة . كل تربتها سوداء . كان السكان يأخذون من ترابها لأخصاب أراضيهم . تشرب القرية من بئر عمقه ٣٢ م ، ركبوا عليه ماتور عام ١٩٤٢ وسمي بالبئر الجديد ، تميزاً له عن البئر القديم الموجود في طرف القرية الجنوبي ، وهو بئر روماني قديم ، بداخله عدداً من الأعمدة الرخامية . كانوا يسحبون منه الماء بالدلو وترك نظراً لبعده وقلة مياهه . وبجانبه آثار خرائب كثيرة أخذت منها أعمدة لبناء مسجد القرية .

وتقسم القرية الى حارتين . (١) الحارة الغربية ، تسكنها عائلات / العالول / طشطش / ابوشاب / الشمالي / بركات / حوامدة / عسفة / وكان معظم رجالها متصوفين .

(٢) الحارة الشرقية ، تسكنها عائلات / شتات / رزق / العبسي / شعفوط / ابو بصل / عثمان .

ومن مخاتيرها / عامر العالول وعبد الفتاح شتات .

ومن أعيانها / محمد جبريل .

ومن شهدائها عام ١٩٤٨ المناضل الشهيد / علي محمود أبو زريق .

معظم سكان القرية هاجروا إلى الاردن في العام ١٩٤٨ واستقروا في اربد يخترق القرية من الجهة الجنوبية الشرقية وادي يمر من قرية «الجلدية» و «بيت دراس» ثم يصب في البحر ، وتتجمع فيه مياه الأمطار المنحدرة من جبال الخليل .

كانت بعض اراضي القرية ملكاً لال الحسيني «المفتي» و «ال العلمي» .

ويوجد في القرية مقام يقال له «مقام الاربعين» ويبدو أن اربعين شهيداً دفنوا فيه أيام الحروب الصليبية .

وبلغ عدد سكان «جسير» عام ١٩٤٨ حوالي (١٢٠٠) نسمة .

زهير الخطيب

بريد الهدف

مقطوعة (غيمة عطر)

- ماعاد يغريني الاسى
فادنو من وجنتيه
ولا النائبات
ربيع العمر
وطعم الزمن المسكون
بالحنظل
ولارائحة صنوبرة
مفصوعة بقطرة ما
سرقت من كانت تسبح
في غمية عطر

ايمن علي
سلميه

آه يا بيروت

إليك يا أميرتي الراقدة أسير
إليك يا حبيبتي البعيدة أكتب
لعيونك الخضراء الواسعة أغني
أسمع خرير مياه يحرك الزرقاء
مغالبا صوت الرصاص
يتحداه .. يغلبه
آه يا بيروت ..
يا أميرة البحر المتعمدة بالسلام
ضميني تحت جناحيك الوارفين
أعيدي إلى شوارعك الحب والمرح
ولتفتحي بوابتك الكئيبة لاستقبالنا
انتظرينا نضيء لليلك - من دمنا - نجوم
نحلق لنورا فوق أوراقك
نكون حبرا لأقلام أطفالك
من القلب يا حبيبتي تخرج الكلمات .
وإلى القلب تعودين
يأغلى الملكات . ونعود

« ريم أحمد »

« امطار الشمس »

لم تعلم انك في هذه الصحراء
غدوت وحيداً
ريقك اشواك ورمال
كل النخل مشانق
دجلة نهر دماء
ورغيفك ممتد من حدِّ الشمس
الى اضرحة الشهداء
لن يشرق زيتون القدس النائي
من تحت « عقال »
فانهض في دمك الآن

راكان الصفدي

ايلول

كتب ايلول على قلوبنا مواويلُه
دليل غربة
أسود ضي قنديله
وجرح كبير ، ما بيساوم
ولا يزاودْ
يقول لـ للي بيفاوض
ورضي يهاود أهل الكاسب
: يا ويله ..
يقول لـ للي بيناور
وخان الدرب
خان النزف
ورضي يحاور ملك أيلول
: أسود صار منديله
كتب ايلول صدى ذكرى
وغنت دير ياسين صبرا
وقالت :
أمانة .. أمانة .. يا حفرا
تضلي على عنادك
ومهما .. راح من ولادك
ومهما زاد من حقده جلادك
تضلي .. أمنا الحرة
وقولي .. بوجه صيادك
- : يمين الله
ما نتراجع ..
عن الثوره

أبو أنس - اليرموك

رئيس التحرير
صابر محي الدين

مدير التحرير
عماد الرحايمة

المدير الفني
جمال الأبطح

AL HADAF
الهدف
سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير
المشرف العام :
بسام ابو شريف

25 AUG 1994
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

موضوع الغلاف

غسان كنفاني
ذاكرة الجيل . .
شجاعة الكلمة

٢٣

ثمن النسخة

لبنان ٢٠٠ ق. ل - سوريا ٢٠٠ ق. س - العراق ٣٠٠ فلس - الكويت ٣٠٠ فلس - الامارات ٥ دراهم - الاردن ٣٠٠ فلس - ليبيا ٤٠٠ درهم - جمهورية مصر العربية - ٣٠٠ مليم - الخليج العربي ٤٠٠ فلس - المغرب ٦ دراهم - الجزائر ٤ دنانير - تونس ٦٠٠ مليم - عدن ٢٠٠ فلس .

المكاتب

دمشق هاتف ٣٣١٦٦٤
تلكس ٤١١٦٦٧
ص ب ١٢١٤٤

عدن هاتف ٤٣٥٨٨
ص ب الفلاة ٥٢٣١

طرابلس الغرب هاتف ٤٨٨٢٩

الجزائر هاتف ٦١٤٨٩١

الاشتراكات

في لبنان وسوريا ج م ع والاردن ٢٠٠ ل. ل. للمؤسسات والدوائر الرسمية ٣٠٠ ل. ل. للطلاب والعمال والفلاحين ١٥٠ ل. ل. في العراق والكويت والخليج - السعودية - اليمن - السودان - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب ٣٠٠ ل. للمؤسسات والدوائر الرسمية ٥٠٠ ل. للطلاب والعمال والفلاحين ١٥٠ ل. ل. عدن ٢٠٠ شلن - افريقيا - الولايات المتحدة - كندا - استراليا - باكستان - الصين - ايران ١٠٠ دولار أو ٤٠٠ ل. ل. اوروبا الشرقية والغربية ٨٠ دولار أو ٣٢٠ ل. ل. امريكا الجنوبية ١٠٠ دولار أو ٤٠٠ ل. ل.

اولى الكلمات

بالأمس الذي مضى قبل عام صنعنا ملفنا السنوي عن غسان ، وها نحن الآن نقدم ملفاً جديداً هو نصف عددنا الحالي . عام مضى، وسنة انقضت من عمر غسان العائش الحي . أكثرنا تجدداً وحياة . من الذي يصدق أنه ارتحل . لا أحد حتى ولا قتلته . لقد نجحوا عندما أوقفوا ريشته . لكن أفكاره تدفقت في الجيل الذي أتى من بعده .

لقد حمل غسان الراية وأسلمنا إياها - عندما سقط - ناصعة بيضاء ، ثم قبع داخل كل منا يسجل السكتات . نحن الفخورين بأن فينا رجلاً كغسان انتهزنا غيابه كي نحبه ، ولو كان موجوداً لما سمح بهذا الافراط أن يمر دون ضوابط .

إن له مزاجاً من نار ، وذاكرة من قماش الخيم ، وحجارة المعسكرات ، ودم الشهداء . له راية في حي لم يعد حياً .

ننظر إلى صورته بعد سنوات من حياته الجديدة ونسأل : لماذا باتت ملامحه أكثر تقطيباً ؟ ولماذا اختفى من ابتسامته الحزينة فرحها وظل الحزن . لأنه الضمير الذي بتنا نخشى مواجهته ؟

ماذا نقول له عن الزمن الذي انقضى منذ بيروت ؟ هل نقول بأن الفلسطيني بات العدو اللدود للفلسطيني ؟ وأننا نقيم الافراح إذا - حدث أن - اتفقنا . كيف نقول ذلك ؟ وبأي لغة ؟

وإذا سألنا عن خيمة « أم سعد » فكيف سنخبره بالحقيقة ؟ وكيف نقول بأن قماشاً منها بات في « تبيسة » والآخر في اليمن السعيد . كيف نحيل البطولة التي صنعها إلى كوميديا ونقول له خذ هذا ماائتمنتنا عليه ؟ هل نقول له ذلك أم نلوذ هاربين ؟

وإذا هربنا فأين نذهب ؟ وغسان الذي ينبعث من موته كل عام ليس ذكرى فحسب . إنه أسئلة وأسئلة صعبة لمن شاء أن يجيب !

خيارات المنظمة قبل اتفاق عدن .	٨
لبنان : هدنة مجمدة والحلول تنتظر الانتخابات	١٣
النشاشيبي يدعو للحوار الشامل .	١١
هجوم الليكود الأخير نحو ٢٣ تموز .	٢٠
هل انتهى العصر الذهبي لـ « أوبيك » ؟ .	٢٢
الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني	٢٣

تحت المجهر ٦ وجها لوجه ١٩

Digitized by Birzeit University Library

لمصلحة من يُرفض اتفاق عدن ؟

وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أساس برنامج وطني تعني منع اليمين الفلسطيني من فرض برامجه الخاصة واسقاطها على منظمة التحرير الفلسطينية لتصبح بذلك برامجه هي برامج حركة التحرر الوطني الفلسطينية . إذ أن هذه الوحدة هي ائتلاف المنظمات الفلسطينية ذات البرامج المختلفة والمنبثقة من رؤية وتطلعات الشرائح الاجتماعية التي تمثلها هذه المنظمات في مجتمعنا الفلسطيني .

وائتلاف هذه القوى هي حاجة موضوعية في مرحلة التحرر الوطني وذلك لتجميع أوسع قطاعات شعبنا لمواجهة العدو الصهيوني الامبريالي . وهذا يعني بالضرورة ـ طالما أن كافة القوى ترى في ائتلافها ضرورة مواجهة العدو ـ ألاّ تفرض فئة اجتماعية أو ممثلوها السياسيون ـ برامجها الخاصة على الفئة الأخرى بل عليها أن تقبل ـ من أجل تحقيق الأهداف الوطنية ـ بالمساومة بحيث تشتق القواسم المشتركة التي تضمن الخط الوطني المناهض للامبريالية والصهيونية وتضمن ائتلاف هذه القوى .

ووحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أساس برنامج معاد للامبريالية والصهيونية تعني المحافظة على الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني إذ أن في طليعة ماتراكم من انجازات على درب النضال الفلسطيني هو بلورة الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني والتي تمثلت بالشخصية المعنوية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأي نهج انقسامي سواء كان مصدره اليمين الفلسطيني أو التيار المغامر في الساحة الفلسطينية ، سيعكس نفسه سلبياً وربما بشكل مدمر على هذا الانجاز الكبير .

ووحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أساس معاد للامبريالية والصهيونية وفي هذه الفترة بالذات تعني وقف الانحدار الذي أصاب قضية شعبنا الوطنية على كافة الأصعدة إذ أن التمزق الذي أصاب المنظمة والأزمة التي عصفت بها عصفت أيضاً بالقضية التي مثلتها وتمثلها منظمة التحرير الفلسطينية .

ووحدة منظمة التحرير الفلسطينية هي وحدة الشعب مرة أخرى ليتمكن من مواجهة العدو العاتي الامبريالي والصهيوني إذ أن انعكاس الائتلاف الوطني هو انفكاك لوحدة الطبقات الاجتماعية ذات المصلحة في التحرير والعودة والعكس صحيح .

وأخيراً وليس آخراً فإن وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أساس معاد للامبريالية والصهيونية هي المحافظة على الحركة الفلسطينية كحركة تحرر وطني لأن البديل سيكون تشرذم المنظمات إلى أحزاب ومنظمات سياسية تناضل حسب برامجها الخاصة .

واخراج منظمة التحرير الفلسطينية من أزمتها واعادة توحيدها يتطلب تثبيت برنامجها الوطني المعادي للامبريالية والصهيونية واعادة ائتلاف قواها المشكلة على أساس هذا البرنامج .

من هنا جاءت مبادرة التحالف الديمقراطي ومن هنا جاء التوقيع على اتفاق عدن ـ الجزائر . فهذا الاتفاق يضمن الأرض الوطنية التي يمكن لكافة المنظمات الفلسطينية الوقوف عليها . فاتفاق عدن يغلق البوابات التي أشرعها اليمين على الحلول الأميركية بعد زيارة القاهرة . فهو يغلق بوابة النظام المصري وبوابة التفويض والانابة والمشاركة مع النظام الأردني . والاتفاق يرفض قاطعاً مشاريع ريغان وأية مشاريع لاتتناسب مع مصالح الشعب الفلسطيني والاتفاق يعيد بناء شبكة التحالفات العربية على أساس النضال المشترك للتصدي للمشاريع الامبريالية والعدو الصهيوني وفوق هذا كله فالاتفاق يعدل النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية لأول مرة منذ عشرين عاماً بما يضمن القيادة الجماعية ومنع أية جهة من الانفراد بالقرار . إنه المدخل للحوار الوطني الشامل الذي سيوحّد الساحة الفلسطينية .

لهذا كله علينا أن نطرح السؤال من هي الجهات صاحبة المصلحة بتمزيق الاتفاق أو رفضه ؟

ولن نخوض هنا في نقاش نظري بل سنستند إلى مواقف معلنة من قبل هذه الأطراف التي ترفض أو تتمنى تمزيقه .

خالد الحسن مثلاً تمنى ألا تصل الوفود لاتفاق وذلك في تصريح علني لصحيفة أمريكية والسبب أن خالد الحسن يريد لبرنامجه الخاص أن يسقط على منظمة التحرير الفلسطينية لتصبح المنظمة ضمن الاطار السياسي الذي يريده لها خالد الحسن أي ضمن اطار الحلول الأميركية .

وياسر عرفات أعلن في مؤتمر صحفي عقد في عمان في ١٧ تموز ـ أي بعد أربعة أيام من التوقيع النهائي على اتفاق عدن ـ الجزائر ـ أنه سيزور القاهرة وأنه لايرى أن على العرب مطالبة النظام المصري بالتخلي عن اتفاقيات كمب ديفيد بل بالابتعاد عن سياسة كمب ديفيد . ماقاله ياسر عرفات في عمان هو محاولة لتمزيق اتفاق عدن ـ الجزائر وخروجاً عليه لأنه هو أيضاً يريد اسقاط برامجه على منظمة التحرير الفلسطينية كي يسير بها نحو حلول لاتمكن الشعب الفلسطيني من تحقيق آماله وطموحاته .

ومن الناحية الأخرى تطلع علينا أطراف أخرى تندد بالاتفاق وتعتبره اتفاقاً انقسامياً ، وهذه القوى وقعت في الخطأ نفسه وإن كان من موقع آخر . فهي أيضاً تريد اسقاط آرائها وبرامجها على كافة الأطراف دون أن تراعي القوانين العلمية التي تحكم الائتلاف الوطني في مرحلة التحرر الوطني ودون أن تعي أهمية القراءة المدققة للواقع ولموازين القوى فيه ودون أن ترى المخاطر التي تتهدد القضية الوطنية ودون أن ترى أن عدم لجم اليمين الفلسطيني ببرامج الحد الأدنى الوطنية ستؤدي إلى تركه ـ أي اليمين ـ حراً في جرها نحو الحلول التي يلهث وراءها .

لهذا أيضاً نتمسك باتفاق عدن الجزائر لأنه القاسم المشترك الذي يصلح أساساً لحوار وطني شامل تتصارع فيه الأفكار من أجل أن تتحد بعده القوى على أساس برنامج سياسي وتنظيمي مشترك يحمي الخط الوطني لمنظمة التحرير ويضمن تطبيق مبدأ القيادة الجماعية .

لذلك نطالب اللجنة المركزية لحركة فتح بأن تحترم توقيعها على الاتفاق وذلك بالتزامها ببنوده والزام الرموز والشرائح التي تعارضه في صفوفها باحترام الاتفاق .

ولذلك نطالب التحالف الوطني بأن يتجاوب مع الواجب الوطني للحفاظ على القضية الوطنية من خلال الدخول بحوار وطني شامل نناضل خلاله جميعاً للوصول لتلك القواسم المشتركة التي تضمن وحدة منظمة التحرير على أساس معادٍ للامبريالية والصهيونية ●

Digitized by Birzeit University Library

تحت المجهر

● المخابرات اليابانية كشفت اتصالاتها ببعض أجهزة المخابرات في الدول العربية لعقد اتفاقيات « لمحاربة الارهاب » .

● تبحث الادارة الاميركية مشروع قانون يعتبر توزيع المجلات والمنشورات التي تصدر خارج الولايات المتحدة محظورة الا بترخيص خاص . وفي حال المخالفة سيتعرض الموزعون للملاحقة .

● بعض زعماء اليهود الامريكيين تبرعوا بمبالغ طائلة لحزب العمل لتمويل حملته الانتخابية . مصدر مطلع أفاد أن التبرعات وصلت الى ثلاثين مليوناً من الدولارات .

● السلطات الالمانية الغربية تتعاون بشكل وثيق مع الموساد لملاحقة العرب والفلسطينيين بشكل خاص في المانيا الغربية . مندوبو الموساد أصبحوا يعملون في برلين الغربية بشكل شبه علني .

● المبادرة الليبية التي حملها الاخ علي عبد السلام التريكي في رسائل خاصة من الاخ معمر القذافي لبعض الرؤساء والملوك العرب تتمحور حول « التضامن العربي » في المرحلة المقبلة . هذا ما أبلغه للهدف دبلوماسي عربي مطلع

● بعض الشركات الاميركية التي كانت قد أبدت استعداداً للمساهمة باعادة تعمير لبنان اشترطت على الحكومة اللبنانية تأمين سلامة الاميركيين وأن يبدأ هذا باطلاق سراح سكرتير السفارة الاميركية الذي اختفى منذ شهور في بيروت .

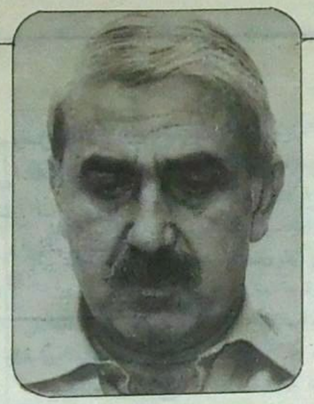

حبش يطمئن
على صحة طلال سلمان

اتصل الرفيق جورج حبش بصحيفة السفير للاطمئنان على صحة الأستاذ طلال سلمان الذي حاولت يد غادرة اغتياله أمام منزله في بيروت يوم السبت ١٤ تموز . وأكد الرفيق جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في اتصاله الهاتفي أن الحادث هو محاولة اعتداء على الكلمة الشجاعة وعلى حرية الكلمة . كما أكد أن مثل هذه الاعتداءات الأثيمة لن تقتل كلمة الحق ولن تمنع الأقلام الشجاعة من متابعة نضالها اعلاءً للحقيقة والحق .

بيان صحفي باسم التحالف الديمقراطي
تعليقاً على تصريحات عرفات

ان الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين التحالف الديمقراطي من ناحية واللجنة المركزية لحركة فتح في عدن والذي تم توقيعه بشكل نهائي في الجزائر وبحضور المسؤولين الجزائريين واليمنيين يحدد بوضوح الأسس السياسية التي تشكل القواسم المشتركة لوحدة م . ت . ف على أساس وطني .

ولقد حدد هذا الاتفاق بوضوح ودون لبس الموقف من زيارة السيد ياسر عرفات للقاهرة كما حدد موقف منظمة التحرير الفلسطينية من النظام المصري اذ جاء في البند الثاني من الوثيقة السياسية ما يلي :

آ ــ التأكيد بان الزيارة مثلت تجاوزاً على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والتصدي لاثارها الضارة واعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ليست ملزمة بأي نتائج أو التزامات سياسية ترتبت عليها والمحاسبة عليها في اطار المؤسسات الشرعية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ب ــ استمرار التزام منظمة التحرير الفلسطينية بقرارات بغداد الخاصة بالعلاقة مع النظام المصري ومحاصرة كامب ديفيد وايقاف كافة الاتصالات السياسية مع النظام المصري فوراً .

جـ ــ تأكيد قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة عشرة بشأن العلاقة مع القوى الوطنية المصرية وتحديد العلاقات مع النظام المصري على اساس تخليه عن سياسة كامب ديفيد .

ان تصريحات السيد عرفات في عمان ليلة أمس والتي تحدد ان العلاقة مع النظام المصري تقوم على اساس ابتعاده عن سياسة كامب ديفيد تشكل خرقاً للاتفاق الذي وقع في الجزائر يوم الجمعة الماضي بالاضافة إلى كونها خرقاً لقرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

كما ان اعلان السيد ياسر عرفات عن نيته لزيارة القاهرة مرة أخرى لا يعتبر خرقاً للاتفاق فحسب بل ضرباً من قبله لكل الأسس التي تستهدف اعادة الوحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ان التحالف الديمقراطي يجد نفسه مضطراً لمطالبة اللجنة المركزية لحركة فتح باحترام توقيعها على الاتفاق ومواجهة هذا الخروج عن اتفاق عدن ــ الجزائر .

ان التحالف الديمقراطي سيواصل جهوده من أجل استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على أسس وطنية حازمة ومن أجل مجابهة نهج الانحراف والانقسام في منظمة التحرير الفلسطينية .

١٨/ ٧/ ١٩٨٤

حواتمة :
لا بد من محاسبة عرفات

أكد الرفيق نايف حواتمة الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أن « اتفاق عدن » ينص على ضرورة محاسبة عرفات وأن المجلس الوطني لا بد أن يحاسبه .

وقال في حديث لوكالة الأنباء الفرنسية أن « اتفاق عدن » ينص على ضرورة أن يقدم عرفات كشف حساب بشأن زيارته للقاهرة ومواقفه السياسية التي تتعارض مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني .

وأوضح حواتمة أن المجلس الوطني الفلسطيني سيصدر حكمه وان كل جناح من حقه في هذا الاطار « أن يقترح العقوبة التي يراها مناسبة تجاه ياسر عرفات » .

وقال : اننا نصر على حقيقة أن عرفات يجب ان يقدم حسابات في اطار مؤسسات (م . ت . ف) ، وان هذه المؤسسات يرجع اليها أمر البت في مصيره .

وأضاف قائلاً أننا نصر على تشكيل قيادة جماعية أيا كان الزعيم الذي ستنتخبه اللجنة التنفيذية القادمة .

وأكد حواتمة أن (م . ت . ف) ستدخل في صراع مع سياسة الملك حسين اذا فاز حزب العمل الصهيوني في الانتخابات الصهيونية واقترح مشروعه الخاص بالمسألة الفلسطينية .

Digitized by Birzeit University Library

في العدد السابق من « الهدف » تحدثنا عن مزايا اتفاق عدن واهميته ، وضرورة التمسك به باعتباره يوفر الأسس الوطنية لاستعادة وحدة م . ت . ف ، على اساس انه يشكل مدخلاً للحوار الوطني الشامل ، ولاعادة العلاقات الطبيعية بين م . ت . ف وسوريا .

في هذا المقال سنبحث الاحتمالات التي ستواجهها م . ت . ف ، فيما لو لم تستطع قوى التحالف الديمقراطي واللجنة المركزية لحركة فتح في التوصل الى اتفاق في عدن .

م . ت . ف في حال عدم التوصل لاتفاق عدن

خياران كلاهما مرّ !

الدورة ١٦ في الجزائر : دورة الوفاق

وما يجعل مثل هذا المقال ضرورياً ، ان اتفاق عدن الذي لاقى أوسع تأييد جماهيري وسياسي داخل الأرض المحتلة وخارجها ، ومن قبل أوسع القوى والدول الوطنية العربية ، ومن قبل الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية تعرض لحملة ظالمة من قبل بعض القوى الفلسطينية ، والتي قالت فيه « ما لم يقله مالك بالخمر » ، ووصلت باتهاماتها إلى حد اعتبار التحالف الديمقراطي بتوقيعه على اتفاق عدن « مصمم على السير في نهج الانحراف » !! هكذا بقدرة قادر ، وبجملة واحدة أصبح من كان يقف في وجه نهج الانحراف ويحاربه بنشاط وفعالية على كافة الأصعدة ، « مصمم » على السير فيه !! ان مثل هذه الاتهامات المتسرعة ، لا يمكن ان تساعد على التوصل إلى قواسم مشتركة بين القوى المناهضة للانحراف بل من شأنها أن تقدم مساعدة مجانية لليمين الفلسطيني ومخططاته .

ان قيمة اتفاق عدن لا يمكن ان تتضح بكل ابعادها ، اذا لم يتم البحث في الاحتمالات التي كانت ستواجه النضال الفلسطيني في حال عدم التوصل إلى اتفاق وطني قادر على اعادة وحدة م . ت . ف وصيانة مكتسباتها الوطنية وقبل ان نمضي في بحث هذه المسألة ، نشدد على ان الاتفاق رغم توقيعه النهائي في الجزائر من قبل رؤوساء الوفود التي شاركت في مباحثات الجزائر وعدن ، الا أنه حتى يتم اقراره عبر المؤسسات الشرعية الفلسطينية يجب خوض معركة واسعة ، تهدف إلى استقطاب أوسع واعمق دعم سياسي وجماهيري فلسطيني وعربي ودولي للاتفاق حتى يتم اقراره .

فان لمحركات وتصريحات بعض قادة اليمين الفلسطيني بما فيهم رئيس اللجنة التنفيذية وأخرها تصريحاته اثناء زيارته الأخيرة إلى عمان ، عن عزمه على زيارة القاهرة مجدداً ، وعن تفهمه لعدم تمزيق حسني مبارك لاتفاقيات كامب ديفيد ، تعكس الرغبة الكامنة ، بالتملص من الاتفاق ، خاصة اذا حدثت تطورات ملائمة لاصحاب الاتجاه اليميني على صعيد توفر مقومات الحل العربي للأزمة الفلسطينية ، أو على صعيد مجيء نتائج الانتخابات الاسرائيلية والأمريكية كما تشتهي سفن اليمين الفلسطيني .

فما الذي كان ينتظر م . ت . ف اذا لم يتم الاتفاق في عدن ، واذا حدثت تطورات تحول دون تنفيذه على أرض الواقع ؟!

ثلاثة احتمالات تواجه المنظمة

يمكن القول بثقة ، ان م . ت . ف كانت ــ ولا تزال إلى ان يتم تنفيذ اتفاق عدن بعد استكماله بالحوار الوطني الشامل ــ تواجه ثلاثة احتمالات أساسية :

الاحتمال الأول : استمرار حاله الانقسام غير معلن ، بكل ما يترتب عليها من شلل واضعاف لـ م . ت . ف . مما يعنيه ذلك من غياب جهة فلسطينية واحدة ، قادرة على مخاطبة القوى الوطنية اللبنانية وتنسق معها قضايا النضال المشترك على الساحة اللبنانية خاصة على صعيد دره الأخطار التي تواجهها جماهير شعبنا في لبنان . وعلى توطيد أركان التحالف الفلسطيني السوري ، بما يكفل تصحيح العلاقات بين م . ت . ف وسوريا .

في ظل استمرار هذه الحالة ، ستتراكم عوامل اليأس والاحباط لدى جماهيرنا الفلسطينية ، وتتنعش الميول الانهزامية لدى الأوساط البرجوازية المترددة ، وسيخرج ازلام النظام الأردني من جحورهم في محاولة لسد الفراغ الذي نشأ مع استمرار هذا الواقع .

كما ان استمرار هذا الوضع ــ وهذا هو الأخطر ــ وان لم يوفر الظروف النموذجية لعرفات وأصحابه ، الا انه يبقى وضعاً يمكن احتماله لأنه يسمح له بالاستمرار بسياسته ضارباً عرض الحائط بمقررات المجالس الوطنية ، والاجماع الوطني الرافض لزيارته للقاهرة ، كما يتيح له تجاوز قرارات واجماع الهيئات والمؤسسات الشرعية .

قد يقول قائل ، ان عرفات كان متحمساً لعقد المجلس الوطني بسرعة وليس لاستمرار حالة الانقسام ، وهذا صحيح ، ولكنه يفعل ذلك في محاولة انقسامية اخطر تهدف إلى درء احتمال التوصل إلى اتفاق وطني يدين زيارته للقاهرة ، ويقيد حركته باتجاه فتح البوابة الأردنية ، فانه كان يفضل ألف مرة ، ان تبقى حالة الشلل ، التي تعطيه القدرة على ابقاء كل الطرق مفتوحة ، حتى يستطيع السير بالطريق المناسب له على ضوء الاستحقاقات القادمة : الانتخابات الاسرائيلية ، القمة العربية ، الانتخابات الأمريكية ، مصير حرب الخليج ، لبنان .

مخاطر انقسام المنظمة

الاحتمال الثاني : ان يحدث انقسام رسمي ونهائي في م . ت . ف ، نجد فيه الاتجاه اليميني ومعه الهيئات الشرعية الفلسطينية ، وقطاع اساسي من الجماهير الفلسطينية ، ويحوز على الدعم الرسمي العربي والدولي . هذا من جهة والفصائل والشخصيات الوطنية الفلسطينية مدعومة من بعض الدول الوطنية العربية من الجهة الأخرى .

ان مثل هذا الانقسام لو تحقق بالظروف الراهنة ، لن يكون في صالح الفصائل الوطنية ، لان الاتجاه اليميني لا يزال يحتل مواقع نافذة في م . ت . ف ، ولا يزال يحصل على دعم جماهيري كبير ، فضلاً عن الدعم الرسمي العربي والدولي ، ان هذا الواقع يجعل الاتجاه اليميني متسلحاً بكل ما تمثله م . ت . ـ من معان ومكتسبات . في نفس الوقت الذي من أنه الانقسام الرسمي والمعلن ان يدفع الميول لاستسلامية لدى الاتجاه اليميني إلى نهايتها القصوى ، بحيث تصل إلى حد الخضوع الكامل للشروط الاستسلامية الأمريكية والصهيونية والرجعية .

ان الصيغة الراهنة التي تمثلها م . ت . ف ، بما تشكله من ائتلاف وطني عريض ، يضم كافة القوى والشخصيات الوطنية ، تضع قيوداً ثقيلة على حركة اصحاب الاتجاه اليميني ، ولا نعتقد ان هناك شيئاً أحب واشهى على نفوس العناصر الأشد يمينية من ان تتخلص من هذه القيود ، وتصبح حرة في حركتها السياسية .

كما ان أي م . ت . ف جديدة ، في ظل ميزان القوى الفلسطيني والعربي ، وفي ظل حالة الاستقطاب العربي الرسمي ، وفي ظل فقدان قاعدة تواجد أساسية لقوات الثورة الفلسطينية ، ستكون محسوبة على محور عربي ، مما يجعل الخلافات الفلسطينية تبدو على غير حقيقتها ، وكأنها لا تتعلق بجوهر ومصير القضية الوطنية الفلسطينية بل بأي محور عربي ترتبط المنظمة .

بالتأكيد ان الموقع الطبيعي لمنظمة التحرير الفلسطينية والمستمد من طبيعتها واهدافها الوطنية يجب ان يكون إلى جانب الدول والقوى الوطنية العربية لا إلى جانب المحور الرجعي ودعاته ، ولكن هذه الحقيقة الهامة لوحدها لا يمكن ان تبرر ضرورة انشاء منظمة تحرير جديدة بغض النظر عن الظروف الفلسطينية والعربية الراهنة .

ولعل ما يؤكد على ما سبق ، حقيقة ان العناصر القيادية اليمينية الأشد حماساً للسير في طريق الحلول الأمريكية ، والتي يتزعمها عرفات ، كانت تسعى على اثر زيارة القاهرة وفي ذروة انسياقها في طريق الانحراف الوطني ، من أجل انقسام سريع ، كما يظهر من خلال الاصرار على عقد سريع للمجلس الوطني ، والاستعداد للتخلي عن البرنامج المرحلي لصالح الكونفدرالية مع الأردن ، وما يعنيه ذلك من نسف للأساس الوطني الذي يجمع الفصائل والقوة والشخصيات الوطنية الفلسطينية في هذه المرحلة .

وما يدل على ذلك ، انها لم تكتف بالتهديد بعقد المجلس الوطني ، بل أنها باشرت خلال الأشهر السابقة ، مرة واحدة على الأقل ، في التحضير لدورة المجلس الوطني ، إلى الحد الذي بدأت فيه بتوزيع البطاقات التي تدعو لحقد المجلس في الخامس من أيار الماضي ، وقامت بتوزيع الحراسة على المقر الذي سيعقد فيه المجلس !!

ان قيام التحالف الديمقراطي الفلسطيني ، واستناده إلى سياسة واقعية ثورية سليمة ، واتباعه سلسلة من المبادرات الوطنية التوحيدية ، وما لاقاه من استجابة من قطاعات واسعة جماهيرية وسياسية ، وعلى صعيد حلفاء الثورة الفلسطينية عربياً ودولياً ، بالاضافة إلى جملة من التطورات الموضوعية ، خاصة على صعيد لبنان ، والمتمثلة بالانتصارات الوطنية البارزة . . . ان كل ذلك شكل عامل ضاغطاً رمى بثقله على اصحاب الاتجاه اليميني ، ودفعهم بصورة اضطرارية للقبول باتفاق عدن . ولعل هذا ما يفسر اشد العناصر اليمينية مغالاة وتطرفا قد راحت تكيل الانتقادات لاتفاق عدن (راجع الهدف العدد السابق) قبل ان يشف حبر التوقيع على الاتفاق !!

ورداً على من يقول ان تهديد العناصر الأشد تطرفا لدى الاتجاه اليميني بالانقسام ليس سوى محاولة للابتزاز تستهدف انتزاع التنازلات من قبل الفصائل الوطنية الأخرى ، نقول ان النظر إلى اللجنة المركزية لحركة فتح بوصفها اتجاه منسجم تمام الانسجام ، لا ينطبق مع واقع الحال ، الذي يدلل على وجود خلافات في جملة من المسائل السياسية التي تواجهها الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة .

صحيح ان هذه الخلافات لا ترتقي إلى حد الخلاف الشامل والجوهري مع النهج اليميني ، الا انها خلافات موجودة ، وقابلة للاتساع أو التراجع ، على ضوء المتغيرات المحلية والاقليمية والدولية ، وحسب مدى قدرة القوى الوطنية والديمقراطية على الفعل والتغيير ، ومدى قدرتها على اتباع سياسة وطنية ثورية واقعية وقادرة على الاستفادة من هذه الخلافات وتطويرها .

اتفاق عدن . . . أساس للحل الوطني

الاحتمال الثالث : التضال بكل قوة ، وبصبر وثبات ، من أجل استعادة وحدة م . ت . ف على اساس وطني .

هذا الاحتمال ، الذي تلوح بوادر نجاحه مع التوصل إلى اتفاق عدن . فرغم كل المحاذير والمخاطر التي اعترضت الحوار مع اللجنة المركزية لحركة فتح ، والتي لا تزال تهدد الاتفاق معها ، سواء من قبل العناصر الأشد يمينية داخلها أو قبل الاتجاهات المغامرة في الساحة الفلسطينية ، اختار التحالف الديمقراطي ، سلوك هذا الطريق الصعب والشاق .

ويستند هذا الخيار على القناعة الراسخة ، بان أي قوة وطنية صادقة في إخلاصها للقضية الوطنية ، عليها أن تسعى بكل ثقلها من أجل انجاح أي امكانية تتيح استعادة وحدة المنظمة وصيانة خطها الوطني .

أما الامتناع عن خوض هذا الطريق الصعب بحجة مخاطره ومحاذيره أو امكانيته المحدودة . فهذا تخلي عن الواجب الوطني ، لايمكن لجماهيرنا أن تسامح من يقدم عليه .

نصري عبد الرحمن

Digitized by Birzeit University Library

استمرار التأييد "لاتفاق عدن"

الاتفاق الذي تم التوصل اليه في عدن بين التحالف الديمقراطي واللجنة المركزية لحركة « فتح » لا زال يحظى بتأييد وارتياح الجماهير الفلسطينية ومنظماتها واتحاداتها الشعبية وقواها المناضلة كما ويحظى الاتفاق بارتياح وتأييد كبيرين من قبل فصائل حركة التحرر العربية والعالمية .

ففي الأرض المحتلة تتواصل البرقيات والبيانات المؤيدة « لاتفاق عدن » .

فقد اعلن د . صلاح البطامي (نقيب الأطباء في الضفة الغربية) « مباركته اجتماعات الفصائل الفلسطينية ، وقراراتها الناتجة عن وحدة الموقف ، الهادفة للوحدة الوطنية ، وحث جميع المنظمات في (م . ت . ف) أن تدعم هذه النتائج لتحقيق الهدف » .

وأكد الدكتور عبد الستار قاسم (رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية) .

« أن الاتفاق الذي تم يقوم على أسس متينة ، فنحن شعب يؤمن بالأسلوب الديمقراطي ، والعمل الجماعي ، ويجب ان لا تمر الأخطاء بدون محاسبة المسؤولين عنها بغض النظر عن مواقعهم القيادية » .

وفي رومانيا : وجهت العديد من الأحزاب والقوى السياسية الفلسطينية والعربية برقية تأييد « لاتفاق عدن » ، أعلنت فيها دعمها التام للاتفاق الذي تم لاستعادة وحدة (م . ت . ف) ، وحماية خطها الوطني المستند إلى برنامجها السياسي ومقررات المجالس الوطنية ، وقد حملت البرقية تواقيع :

الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، الاتحاد الوطني لطلبة الأردن ، منظمة الحزب الاشتراكي اليمني منظمة العمل الشيوعي اللبناني ، منظمة الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الشيوعي اللبناني ، الحزب الشيوعي الأردني ، المجلس الطلابي اليمني ، منظمة الحزب الشيوعي السوري ، والحزب الشيوعي السوداني .

كما أعربت الأحزاب السياسية التركية والكردية عن تأييدها « لاتفاق عدن » وأكدت في بيان لها « أن ظروف المنطقة والعالم تتطلب الاسراع في حل الأزمة القائمة في (م . ت . ف) والحفاظ على وحدتها على قاعدة خطها الوطني المعادي للامبريالية والصهيونية » ، وقد عبرت كذلك عن « ضرورة بذل كل الجهود لتحقيق الوحدة في اطار توحيد الطاقات عبر الحوار الشامل » .

حبش يهنىء غوشه

بعث الرفيق جورج حبش الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برقية تهنئة للرفيق سمير غوشه الأمين العام لجبهة النضال الشعبي ، بمناسبة الذكرى السابعة عشر لانطلاقة جبهة النضال ، حيث أكد الدكتور حبش بهذه المناسبة على الدور الذي لعبته جبهة النضال في الساحة الفلسطينية على امتداد السنوات السابقة وتطرق إلى أهمية م . ت . ف ومتافرضه من مسؤوليات تاريخية تستوجب الاسراع في انجاز الحوار الشامل للتوصل إلى اتفاق وطني يصون وحدة المنظمة وخطها السياسي المعادي للامبريالية والصهيونية .

وحمل البيان توقيع : راية التحرر الارزغاري ، الحزب الشيوعي التركي « الوحدة » ، الحزب الطليعي لعمال كردستان ، الحزب الاشتراكي في كردستان تركيا ، زرغاري ، طريق الانتصار ، وكوك « الاتحاد الاشتراكي » .

كما أرسل الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا برقية تهنئة وتأييد إلى التحالف الديمقراطي « بأتفاق عدن » .

هجوم صهيوني فاشي على معتقلي سجن الدامون

اعتصم أهالي المعتقلين في سجن الدامون في مقر الصليب الأحمر الدولي في القدس احتجاجاً على الاعتداء الوحشي الذي تعرض له المعتقلون مؤخراً من قبل سلطات السجن الصهيوني .

وقد أفاد المعتصمون ان السجانين الصهاينة اقتحموا العنبر رقم (١) بقنابل الغاز والهراوات مما ادى إلى اصابة اغلبية المعتقلين بجروح بليغة ، وقد اتخذت ادارة السجن من رفض المعتقلين تنظيف ساحة السجن ذريعة لتنفيذ اعتداءاتها التي اسفرت عن اصابة كل من فؤاد حشيمة ، ومحمود أبو شعيرة ، واسعد الأشهب ، وجمال سنقراط ، وخالد برغوث ، ومازن قباني ، وأحمد القطب ، وحسن معبد ، وخليل أبو نجمة بجروح .

وقد ذكر أهالي المعتقلين أن المعتقل خالد برغوث أصيب بجراح خطيرة ولا يعرف حتى الآن مصيره ، ومصير المعتقل خليل أبو نجمة .

من جهة ثانية دعت نقابة العاملين في جامعة النجاح الوطنية المواطنين إلى اعتصام احتجاجي في قاعة كافتيريا الجامعة احتجاجاً على ما يتعرض له العاملون في الجامعة من حملات ارهابية .

بعد الاعلان عن اتفاق عدن ، دأبت الحرية والهدف ، على استقصاء ردود الفعل على الاتفاق من قبل الشخصيات الوطنية داخل الأرض المحتلة وخارجها ، وفي هذا الاطار كان لنا لقاء مع الأخ محمد زهدي النشاشيبي ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الذي استقبلنا دون موعد مسبق على الرغم من مشاغله العديدة حيث دار معه الحوار التالي :

النشاشيبي في حديث للهدف والحرية

لا اتفاق شامل بدون حوار شامل

■ ماهو تقييمكم لاتفاق عدن وآفاقه وماذا يمثل على صعيد استعادة وحدة م . ت . ف ، وخطها الوطني ؟

■■ بادىء ذي بدء ، أريد أن أثمن الجهد الذي بذل من جميع الأطراف والذي تمخضت عنه الوثيقة السياسية الهامة التي بين أيدينا ، كما أننا نشكر الأخوة قادة الحزب الاشتراكي اليمني والأخوة قادة حزب جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، على الجهود المضنية والمخلصة التي بذلوها من أجل التوصل للاتفاق ورعايته .

في تعليقي على الوثيقة سأركز على نواحي تبرز أهميتها أكثر من سواها في الوقت الحالي ، منطلقاً من أن حرصنا جميعاً ، منظمات وشخصيات وطنية ينصب على التوصل إلى اتفاق سياسي وطني شامل ، ومن هنا ينبع حرصنا على الحوار الوطني الشامل ، إذ لا يمكن الوصول للاتفاق الشامل بدون الحوار الشامل .

وقد أكدت جميع القوى في الساحة الفلسطينية على عدة نقاط : الأولى المحافظة على وحدة م . ت . ف ، والثانية الحفاظ على خطها الوطني المعادي للامبريالية والصهيونية ، والثالثة ، إجراءات تنظيمية تكفل استمرار مسيرة الثورة وتعزيز المؤسسات الشرعية وتحقيق الاصلاح الديمقراطي والتنظيمي .

بالنسبة للحفاظ على وحدة م . ت . ف ، فقد دعت الوثيقة إلى حماية وحدة الصف في المناطق المحتلة والعمل على احياء الجبهة الوطنية الفلسطينية . ودعت كذلك إلى تعزيز الوحدة الوطنية في سائر ساحات التجمع الفلسطيني وكذلك على ساحة المؤسسات الشعبية من نقابات وغيرها في الداخل والخارج والتصدي لكل محاولات الانشقاق في صفوفها بالتمسك بأنظمتها الداخلية التي تصون وحدتها .

كما أكدت الوثيقة رفضها لكافة محاولات شق م . ت . ف وتمزيقها .

وأكدت الوثيقة على التمسك بمبدأ الحوار الديمقراطي ، إذ اعتبرت اللجوء إلى السلاح واستخدام العنف ، لفرض حلول قسرية للخلافات داخل صفوف الثورة عملاً يتنافى ومقررات المجلس الوطني ويمس مسيرة الثورة ووحدتها .

أما بالنسبة لخط المنظمة المعادي للامبريالية والصهيونية فقد برز واضحاً حيث أكدت رفض أي حل للقضية الفلسطينية على قاعدة مشروع ريغان ، أو الحل الاقليمي الوسط «الخيار الأردني» أو مشروع حزب العمل الصهيوني ، وأكدت رفض المشاريع الأمريكية وفي مقدمتها كامب ديفيد والحكم الذاتي وكافة المشاريع التي تنتقص من حقوق شعبنا الوطنية في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الوطنية المستقلة ، أو التي تنتقص من دور م . ت . ف كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني دون تفويض أو إنابة أو مشاركة في التمثيل .

ودعت الوثيقة إلى تعزيز التحالف الوطني الفلسطيني والسوري واللبناني ودعم القوى الوطنية اللبنانية ضد الوجود الصهيوني ومشروع الهيمنة الكتائبي ، ودعت كذلك إلى تعزيز الثقة المتبادلة بين سوريا والثورة الفلسطينية لتتمكن الثورة جنباً إلى جنب مع سوريا من التصدي للعدو الصهيوني الامبريالي .

ومن جهة أخرى أكدت الوثيقة التمسك بنهج

Digitized by Birzeit University Library

الكفاح المسلح وتعزيزه ضد الاحتلال الصهيوني لتحرير أرضنا وانتزاع حقوقنا بقيادة م . ت . ف الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا .

ومن جهة أخرى فقد بذل الأخوة في التحالف الديمقراطي جهداً متواصلاً من أجل الوصول إلى الصيغة التي تتعلق بزيارة عرفات للقاهرة ، حيث أكدت الوثيقة أن الزيارة مثلت تجاوزاً على قرارات المجلس الوطني وأن المنظمة ليست ملزمة بنتائجها ودعت إلى محاسبتها في إطار المؤسسات الشرعية لمنظمة التحرير .

وهذا في تقديرنا هو النهج الذي يجب أن نتمسك به من أجل الحفاظ على وحدة المنظمة والالتزام بقرارات المجلس الوطني والاحتكام إلى مؤسسات م . ت . ف .

على الصعيد التنظيمي

أما حول البند التنظيمي ، فإنني أقدر الروح التي أملت النصوص والمنطلقة من الحرص على القيادة الجماعية وتعزيز دورها بما يمكنها من ممارسة صلاحيات لاشك بأنها ستنعكس ايجابياً على العمل وبخاصة عمل اللجنة التنفيذية ، كما أنني أريد أن أنوه إلى أهمية تمتع المجلس المركزي بصلاحيات «تقريرية» ليتمكن من مراقبة أعمال اللجنة التنفيذية وقيامها بتنفيذ قرارات المجلس الوطني . ولي بعض الملاحظات على البند التنظيمي حيث أدعو إلى الدراسة المعمقة للبنود الواردة في الوثيقة . وتحديداً في البند الثالث المتعلق باللجنة التنفيذية ببنديه رقم ٣ ، ٤ ، لئلا يقع أي تشابك في الصلاحيات أو تداخل ، أما بالنسبة للبند الخامس والمتعلق بدوائر م . ت . ف ، فقد أعدت من قبل دراسات حول إعادة النظر في تنظيم دوائر ومكاتب ومؤسسات م . ت . ف ليس فقط على أسس جبهوية وإنما أيضاً من أجل وضع الأسس التي تكفل قيام هذه الدوائر بمهامها بفعالية وكفاءة ونحن نتطلع إلى تنمية دور الدوائر بحيث تترسخ فكرة المؤسسة وتتعزز قدراتها على القيام بدورها الفعال في خدمة نضال شعبنا ووضع قرارات المجلس الوطني موضع التنفيذ .

■ ماهي في تقديركم امكانيات انعقاد المجلس الوطني وفق المهلة المحددة في الاتفاق ؟

■■ لابد أن ننظر بجدية إلى موضوع استعادة م . ت . ف لوحدتها وعودة مؤسساتها الشرعية لممارسة نشاطاتها ، من هنا جاءت فكرة اقتراح مواعيد ومهل زمنية للحوار وانعقاد المجلس الوطني ، ونحن جميعاً متفقون في الساحة الفلسطينية وأشير هنا إلى الاتفاق الذي تم بين التحالف الديمقراطي والتحالف الوطني على أن ينعقد المجلس الوطني بعد الاتفاق السياسي الشامل ، ومن هنا أدعو إخوتي في التحالفين الوطني والديمقراطي إلى الاستمرار بالحوار من أجل الوصول إلى الاتفاق الوطني الشامل تمهيداً لعقد المجلس الوطني بأسرع وقت ■

رابطة الدفاع عن الاسرى تطالب الصليب الأحمر التدخل لمساعدة المعتقلين المرضى

ناشدت رابطة الدفاع عن الأسرى ، والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي تقديم العون والمساعدة للاسرى المرضى التالية اسماؤهم والعمل على الافراج عنهم وهم :

ـ عبد القادر محمد مصطفى خدرج ـ سجن عسقلان ، اعتقل بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٦٩ ، محكوم بالمؤبد ، ويعاني من ضغط الدم العالي ، وضيق النفس ، والغضاريف .

ـ سالم أحمد عامر بريوش ـ سجن عسقلان ، اعتقل بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٩ ، محكوم بالمؤبد ، اصابه من البلاستيك نتيجة عدة عمليات جراحية

ـ محمود محمد محمود اليوسف ـ سجن عسقلان ، اعتقل بتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٦٩ فاقد احدى عينيه ويعاني منها .

ـ علي حمدان سليم حلايقة ـ سجن الرملة اعتقل في شباط عام ١٩٧٢ ، محكوم بالمؤبد يعاني من مرض القلب ووضعه الصحي سيء .

ـ خالد محمود حسن عبد العال ـ سجن الرملة اعتقل في آذار ١٩٨٠ محكوم (٧) سنوات ويعاني من مرض السكري الشديد .

ـ محمد محمد ابراهيم العزة ـ سجن عسقلان ، يعاني مرض نفسي شديد سبب له خللاً عقلياً بسبب التعذيب .

ـ أحمد اسحاق حسن بيبرس ـ سجن الرملة يعاني من الآلام الحادة في رأسه ، فقد احدى عينيه ويوجد ضعف شديد في عينه الأخرى .

حراس الأقصى يفشلون محاولة لاقتحامه

تمكن احد حراس المسجد الأقصى من صد محاولة صهيونية جديدة لاقتحام الحرم القدسي الشريف والمسجد الأقصى قامت بها عصابة ارهابية تنتمي إلى حركة « كاش » الصهيونية المتطرفة . وقد تصدى حراس المسجد لهذه العصابة ومنعوها من تحقيق اهدافها .

من جهة أخرى ذكرت مصادر فلسطينية في القدس المحتلة أن المحكمة العسكرية الصهيونية في اللد اصدرت حكماً بالسجن لمدة عامين على المواطن اللبناني أحمد علي بدوي بتهمة الانتماء للثورة الفلسطينية .

وفي غزة اصدرت المحكمة العسكرية الصهيونية حكماً بالسجن لمدة اقصاها (١٥) عاماً على سبعة من الشبان الفلسطينيين بتهمة القاء قنابل يدوية على دوريات عسكرية صهيونية كما اتهمت محكمة عسكرية صهيونية أخرى في رام الله المواطن الفلسطيني جمال أحمد عبد الجبار بالقيام بعدة عمليات عسكرية في بيت لحم والقدس .

البقاع اللبناني :
تعزيزات « اسرائيلية »

ذكرت تقارير صحفية من البقاع اللبناني ، على اثر اقفال القوات الاسرائيلية طريق مستعمرة المطلة ـ البقاع الغربي ، ان هذا الطريق استخدم الأسبوع الماضي لايصال عشرات الدبابات إلى المواقع المنتشرة على امتداد خطوط التماس مع القوات السورية ، بالاضافة إلى ايصال قاطرات محملة بكل أنواع الذخائر وشاحنات ضخمة تنقل وشحاً من الاسمنت والأسلاك الشائكة .

واضافت تلك التقارير ان الحفارات « الاسرائيلية » واصلت احداث المزيد من التحصينات والمخابىء للدبابات والممرات في المواقع القريبة من الجبهة ، في حين نفذت الكتائب المؤللة فور وصولها إلى الجبهة ، تدريبات واقتحامات لأهداف وهمية ، ورمايات بالمدفعية والأسلحة الرشاشة على عدة محاور في الجبهة بين القوات السورية وقوات الاحتلال . كما ذكرت مصادر لبنانية مطلعه في الجنوب ان وزير الدفاع « الاسرائيلي » موشي ارينز تفقد أخيراً المواقع العسكرية على امتداد خطوط التماس ، والتقى كبار الضباط « الاسرائيليين » .

تونس :
احكام جديدة بالسجن

ذكرت الصحف التونسية الأسبوع الماضي ان ٢٥ شاباً تونسياً صدرت ضدهم أحكام بالسجن لمدة تتراوح بين ٥ و ٢٠ عاماً مع الأشغال الشاقة بتهمة « اثارة الاضطرابات » يوم ٣ كانون الثاني الماضي في تونس في اطار ما سمي بـ « ثورة الخبز » . .

ومن الجدير بالذكر ان هذه المحاكمات كانت سرية أكثر من سابقاتها بعد القرار الذي اتخذه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة يوم ١٩ تموز الماضي بتخفيف عقوبات الاعدام ضد ثمانية من الشبان الذين ادينوا . كما ذكرت صحيفة تونسية أخرى ان عفواً رئاسياً ينتظر ان يعلنه بورقيبة في عيد ميلاده في أوائل شهر آب المقبل يشمل عناصر الاتجاه الاسلامي وعدد من المسؤولين الحكوميين الآخرين احدهم كان من المتهمين بالخيانة العظمى وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات في أوائل السبعينات .

الاغتيال السياسي
من الكورة إلى طلال سلمان

في الوقت المناسب ، جرت محاولة اغتيال الكورة !

وفي الوقت المناسب ، جرت محاولة اغتيال طلال سلمان !

في الوقت المناسب . كأنما ليقال ان محاولات اغتيال لبنان لن تنتهي لا بانتشار الجيش ولا حتى بالتطبيق الشامل للخطة الأمنية طالما ان الأخطبوط « الاسرائيلي » ما زال يجثم على صدر الجنوب ، وطالما ان الخطة الأمنية ما زالت تسير على عكازات الطوائف ، وطالما ان ادرع الأخطبوط اللبنانية لم تنقطع ، وأنها فقط غيرت نوع السلاح لتغير نوع « السلام الفاشي » من « سلام » الهيمنة إلى « سلام » الاغتيالات والارهاب اليومي ، ثم إلى سلام تغذية صراعات الطرف الآخر سعياً لتمزيقه . . .

في الوقت المناسب ، كأنما ليغسل الآخرون بدم الآخرين عار مجزرتي اهدن وصفرا في ٧ تموز ١٩٨٠ ولرد الاعتبار لهما بوصفها مجازر متحالفين يغرقون بدم بعضهم البعض ، تحدث هنا مثلما تحدث هناك ، ذلك ان الروح الدموية الطائفية هي نفسها هنا وهناك ، وهي نفسها مهما اختلفت الظروف ومهما اختلفت مواقع بعضهم .

وفي الوقت المناسب ، كأنما ليقال ان لبنان الحرية والديمقراطية ، لبنان الكلمة والقلم الشريف ليس لها بقاء ببقاء اعداء الحرية والديمقراطية ، وليس لها بقاء ببقاء يد الارهاب والقتل والخطف تصول وتجول في ملعب الخطة الأمنية .

وكأنما ليقال ان الحرية ونقيضها لا يجتمعان .

وكأنما ليقال ان الطائفية التي تستشري مثل داء خبيث أما ان تكون بدم العلمانية أو لا تكون ، وكأنما ليقال ان الكلمة الحرة لا حرية لها في لبنان الكانتونات ، ومزاجية الطوائف الدموية .

. . . الاغتيالان ، كلاهما ، يحملان معنى واحد في الأصل : اغتيال القليل الذي تبقى من لبنان خارج الأسوار الطائفية ، فليست الكورة هي الهدف ، كما وليس الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي أصبح بين ليلة وضحاها « عميل لاسرائيل » ، وانما المشروع الوطني اللبناني برمته ، أو حتى أجزائه التي لم تجتمع بعد لتشكل خطراً فعلياً نقيضاً مكتملاً .

كما ولم يكن المقصود اغتيال طلال سلمان لذاته ، انما حاولوا اغتيال حلمه بلبنان ديمقراطي ، لبنان الفقراء والذين « لا صوت لهم » . . . لبنان الشرفات المزهرة والأطفال المرحون « لبنان الرغيف والوردة » .

ومع ذلك فان تكن المحاولاتان قد فشلتا ، إلا أن دورة التصفيات الدموية لم تنته . ولعلها ابتدأت .

فمن سيرتكب مجازر ضد الشيوعيين ، هذه المرة ـ ومن سيكون ضحية الكلمة والرأي الجديد . المجرمون كثيرون واقصى عددهم واحد .

علي . . .

Digitized by Birzeit University Library

قوات الاحتلال : انسحاب تدريجي

لبنان

هدنة بانتظار الانتخابات

ماالذي سيتغير بالمجيء المحتمل لحزب العمل «الاسرائيلي» إلى سدة الحكم ، بعد هزيمة الليكود ، التي تبدو شبه مؤكدة بالنسبة لبعض المراقبين ؟ وإن جاء حزب العمل فكيف سيتصرف إزاء مواضيع دور الميليشيات العميلة في الجنوب والانسحاب والترتيبات الأمنية ؟ وماهي حدود الدور «الاسرائيلي» في التأثير على اتجاه تطورات الأوضاع اللبنانية في مرحلة مابعد الانتخابات على صعيد مستقبل الهدنة وامكانيات الحل السياسي للأزمة اللبنانية ؟ وهل ثمة مراهنات جديدة لأطراف «الجبهة اللبنانية» على دور «اسرائيلي» حاسم تحل محل تلك المراهنات الخاسرة ؟ ثم بأي اتجاه ستتطور الأوضاع الاقليمية في المنطقة ، سواء على صعيد احتمالات نشوب حرب جديدة ، أم على صعيد اندفاع دول عربية عديدة نحو مشاريع تسوية من طراز جديد ؟

هذه الأسئلة ، وكثير غيرها ، مما يشغل المراقبين ، لاتتعدى الاجابة عليها حدود التكهنات والتوقعات . فالتطورات والتغيرات الممكنة مفتوحة على جميع الاحتمالات ، وليس ثمة مايؤكد سيرها باتجاه دون آخر . فيما يجد الكثير من المراقبين أن الأوضاع اللبنانية والاقليمية قد تستقر على صيغة من صيغ التجميد حتى شباط القادم أي بعد استكمال انتقال الادارة الأمريكية من يد ليد وبعد استقرار الادارة الجديدة في حال مجيء الحزب الديمقراطي إلى الحكم .

ومع ذلك فإن مصادر دبلوماسية عربية وأمريكية تقول إن طبخة التسوية الشاملة ستكون من أولى اهتمامات الادارة الأمريكية بعد اجتياز عقبة الانتخابات الرئاسية سواء بقي ريغان أم جاء مونديل ، وبالتالي فإن الانتظار والتريث ربما سيكون بالنسبة للكثيرين ، بمن فيهم «اسرائيل» «والجبهة اللبنانية» سيد الخيارات في الظرف الراهن . فليس من مصلحة هذين الطرفين بالتحديد الاقدام على خطوات دراماتيكية كبيرة في ظل احتمال مواجهة الرئيس ريغان معركة انتخابات بالغة الصعوبة لاسيما وأن رصيده الانتخابي الشرق أوسطي لم يعد من النوع الذي يمكن المفاخرة به بعد هزيمة المارينز في لبنان .

في هذا الاطار تعتبر مصادر سياسية لبنانية معارضة أن تعطيل استكمال المراحل التالية من الخطة الأمنية ، انصب حتى الآن بالدرجة الأولى ، على امكانية نجاح رهان صغير «للجبهة اللبنانية» يتعلق بصفة مباشرة بالتصعيدات العسكرية التي شهدتها خطوط المواجهة السورية - «الاسرائيلية» خلال الستة أسابيع الماضية وذلك بافتراض أن حاجات انتخابية محضة قد تدفع التكتل الحاكم في «اسرائيل» إلى القيام بعمل عسكري محدود يقصد به تدعيم فرصه الانتخابية . ولكن إما وأن هذا الرهان لم يثبت جدواه فإن تأخير امتداد تنفيذ الخطة الأمنية إنما يستهدف بالنسبة «للجبهة اللبنانية» ، إتاحة فرصة أكبر لها لمعرفة المدى الذي ستفيد منه امكانيات العرقلة وتسويف الهدنة في تدعيم الخيارات «الاسرائيلية» اللاحقة ، من ناحية في البحث عن سبل الخروج من مأزق مواجهة حرب الاستنزاف في الجنوب ، ومن ناحية أخرى في ايجاد أشكال جديدة لاستمرار الدور «الاسرائيلي» في لبنان بغض النظر عن انسحاب أو عدم انسحاب قوات الاحتلال من الجنوب .

على هذا الأساس كان الرئيس كميل شمعون يردد أنه «إذا أردنا فعلاً تحرير الجنوب وانقاذه من الاحتلال فعلينا أن لانحرك ساكناً قبل انتهاء الانتخابات الاسرائيلية ، إذ أن الكثير من النتائج يتوقف على نتيجة هذه الانتخابات ، وأي تحرك نقوم به اليوم قد لايكون لمصلحة الجنوب» !

الجرجرة في تنفيذ الخطة الأمنية بانتظار نتائج الانتخابات «الاسرائيلية» ، قد تنسحب كما يرجح العديد من المراقبين إلى جرجرة سياسية فيما يتعلق بمواضيع الاصلاحات السياسية وتشكيل «اللجنة التأسيسية» ، وذلك حتى نهاية معركة الانتخابات الأمريكية . وبالتالي فإن موضوع انسحاب قوات الاحتلال ، والاتفاق على ترتيبات أمنية في الجنوب سيمتد هو أيضاً إلى مرحلة مابعد الانتخابات الأمريكية .

من هذا المنطلق فإن الأمل بإعادة فتح الطريق الساحلي إلى الجنوب يبدو ضعيفاً لاسيما باستمرار اصرار «القوات اللبنانية» على إعاقة فتح طريق الشمال واشتراط فتحه بجملة مطالب تساومية تخلط بين متطلبات تثبيت الأمن وبين السعي للحصول على مكاسب سياسية محددة .

التأخير المتعمد في حسم الموضوع الأمني ، يصطدم من ناحية أخرى ، بالرغبة السورية القوية في حسم هذا الموضوع تمهيداً «لاغلاق الملف اللبناني» واخراج الأزمة اللبنانية من دائرة التأثيرات الاقليمية وسعياً لتثبيت ماتم احرازه من نجاحات على الصعيدين العسكري والسياسي .

وحسب مصادر حكومية سورية فإن هذه الرغبة تستند إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي :

أولاً - إن حسم الموضوع الأمني سيجعل الفرقاء اللبنانيين في مواجهة الاحتلال من الناحية الموضوعية ، بنفس القدر الذي تتهيء فيه الهدنة العسكرية والسياسية امكانية الانتقال بالحوار اللبناني إلى مستوى البحث في مواضيع الاصلاحات السياسية وفقاً للتوصيف الذي وضعته الحكومة في بيانها الوزاري .

ثانياً - وبموجب ذلك ، فإنه ستتاح لسورية فرصة وامكانية أكبر لمواجهة تحديات واحتمالات العدوان «الاسرائيلي» .

وثالثاً - إن تثبيت النجاح السياسي في لبنان يعزز بدرجة كبيرة الدور الاقليمي لسوريا الأمر الذي سيجعل من مشاركتها في مؤتمر القمة العربي القادم في الرياض مشاركة فعالة تضمن تقليل واضعاف احتمالات انجرار بلدان عربية معروفة وراء مشاريع التسوية الجديدة التي يجري اعداد وتحضير أسس ومرتكزات أولية لقبولها ومنها احتمال دعوة مصر للمشاركة في القمة .

في مقابل ذلك ، فإن الدور «الاسرائيلي» ، في مرحلة مابعد الانتخابات ، إن كان سيأخذ أشكالاً مختلفة لتحقيق نفس الأهداف ، فإنه إلى ذلك ربما سيتميز بالتحرك على عدة مستويات في آن واحد :

المستوى الأول : استمرار دعم خطوات «الجبهة اللبنانية» في تنفيذ دور تقسيمي على أساس التثبيت الواقعي للامركزية الأمنية والادارية ومن ثم السياسة أيضاً . وفي نفس الوقت استمرارها بالاحتفاظ بمداخل أمنية وسياسية تهيء امكانية عودة التفجير العسكري وفرط عقد الهدنة .

المستوى الثاني : تحقيق انسحاب جزئي ، على شكل «إعادة انتشار» لقوات الاحتلال في الجنوب اللبناني في مقابل تعزيز سيطرة قوات لحد في المناطق التي قد تجلو عنها قوات الاحتلال مع استمرار امكانية العودة إلى هذه المناطق في حال دعت الضرورة .

المستوى الثالث : التمسك بذات الشروط السابقة لعقد ترتيبات أمنية في الجنوب وهي شروط التفاوض المباشر واتخاذ اجراءات فصل قوات في جبهة البقاع الغربي وراشيا واستمرار وجود مكتب الاتصال «الاسرائيلي» في ضبيا أو في أي مكان آخر .

المستوى الرابع : استمرار التهديدات والتصعيد العسكري إن لم يكن بهدف توجيه «ضربة خاطفة» لسوريا ، فعلى الأقل بهدف الابتزاز السياسي واختبار مدى الاستعداد السوري للرد والمواجهة الساخنة .

علي الصراف

عصيانات مدنية شاملة ضد هستريا الارهاب

الجنوب المقاوم :

شهد الجنوب اللبناني المحتل موجة جديدة من الغضب الشعبي بعد إقدام قوات الإحتلال على إبعاد الشيخ محمد حسن الأمين قاضي شرع صيدا ، يوم ١٧ الجاري ، فقد أعلن الجنوب المحتل وبيروت الغربية إضراباً شاملاً لمدة يومين فيما إستمرت التجمعات والاعتصامات التي شملت قرى وبلدات الجنوب ، وسط تحذيرات ميلشيات « لحد » ودوريات الاحتلال ، وارهابهم ، وكانت قوات الاحتلال قد اقتحمت ، بالاشتراك مع عناصر تابعة « لجيش لحد » ، منزل الشيخ الأمين واقتادته إلى مقر عسكري اسرائيلي في بلدة كفر فالوس حيث استجوبته لساعات طويلة ، ثم ابعدته إلى خارج خط الأولي ، وفي وقت لاحق ، اعلن « لحد » أن الشيخ الأمين يُعد واحداً من المحرضين الخطرين ضد قوات الاحتلال ، وكان لا بد من إبعاده تيسيراً لمهمات مليشياته الأمنية .

وفي بيروت اصدر مفتي الجمهورية حسن خالد ونائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى بياناً مشتركاً ادانا فيه خطوة الابعاد وانهما قوات الاحتلال بتنفيذ مخطط اجرامي يرمي لتفريغ الجنوب من زعماءه السياسيين والروحيين بعد أن فشلت كل محاولاتها من أجل اسكات صوت التحريض والرفض الذي إرتفع في الجنوب المحتل منذ أن وطأته اقدام المحتلين ، كما اصدرت فعاليات واطراف سياسية وروحية بيانات استنكار بهذا الخصوص .

إذاعة « اسرائيل » من ناحيتها ، حملت على الشيخ المبعد واعتبرت العمل الذي قامت به عناصر لحد يدخل في صميم مهماتها التي تتمثل في « المحافظة على الأمن والنظام في المناطق اللبنانية المحتلة » .

ومن الملاحظ أن اذاعة اسرائيل قصرت مهمة الاعتقال والأبعاد على عناصر « لحد » وهو أمرٌ له دلالته في ظروف تحتدم فيها معركة الانتخابات الاسرائيلية ، ويلهث التجمع الصهيوني الحاكم ، وراء كل ما يضيف إلى أسهمهُ جديداً .

وفي خضم إجراءات الاحتلال الارهابية تُعلن الرصاصة المقاومة عن إنتصارات جديدة كل يوم ، فقد نفذ ، رجال المقاومة الوطنية العديد من العمليات الجريئة ، موقعين إصابات كثيرة في صفوف العدو ، كان آخرها عملية يوم الأربعاء المصادف ١٨ تموز حيث اعترفت القيادة الاسرائيلية بمقتل أحد جنودها ليصل قتلى « إسرائيل » حسب بياناتها الرسمية إلى ٥٨٧ قتيلاً .

وفي الأسبوع الماضي نفذ رجال المقاومة عدة عمليات في النبطية والغازية وصيدا ومغدوشة ، حيث اعترف العدو بثلاث اصابات ، وجاءت العمليات تلك بعد ساعات قليلة من إعلان « لحد » أن جيشهُ أصبح قادراً على ضمان أمن القوات الاسرائيلية المحتلة ، وأن عدد قواته سيصل قريباً إلى ٨ آلاف جندي .

إن تصاعد المقاومة المدنية والمسلحة في الجنوب اللبناني المحتل بدّد أوهام كثيرة ، ومما لا شك فيه أن أوهام لحد ستواجه نفس المصير .

Digitized by Birzeit University Library

تفاعلات الاتفاق العسكري السوفياتي الكويتي

السعودية تهدد بلسان امريكا !

حين سئل الشيخ سالم الصباح وزير الدفاع الكويتي ، في اليوم الأول لزيارته موسكو ، عمّا إذا كان الاتحاد السوفياتي سيفرض شروطاً معينة على الكويت مقابل تزويدها بالأسلحة المتطورة التي طلبتها ، أجاب : «إذا كانت هذه الشروط جائرة بحقنا فإننا لن نقبل بها ، أما إذا كانت تتفق مع القواعد والأخلاقيات والأصول العسكرية التي تتقيد بها معظم الدول فإننا سنراعي ذلك» .

وما ان التقى الوزير الكويتي كبار المسؤولين السوفيات حتى اتضح أن الاتحاد السوفياتي لم يفرض أية شروط بل «أعطونا كل مافي ترسانتهم ولم يمنعوا عنا شيئاً» حسب تصريح الشيخ الصباح نفسه .

أما حين تم التوقيع ، بالأحرف الأولى ، على الاتفاق العسكري السوفياتي الكويتي ، فقد أكد الوزير الصباح «ان هذه الصفقة العسكرية لاتتسم بأي طابع سياسي ، وأنها لاتعني أن الكويت ستمنح تسهيلات عسكرية لموسكو على أراضيها ، أو في مياهها الاقليمية» .

ورغم أن ماقاله الوزير الكويتي يجد دعماً له في سنوات طويلة من التجربة العربية مع المساعدات السوفياتية والسلاح السوفيتي ، لم تسجل (إذا استثنينا تخريفات السادات) ـ تدخلاً في الشأن الداخلي للبلدان العربية التي استخدمت ذلك السلاح في حروبها مع «اسرائيل» ، ولم تمس بمصالح وأمن واستقلال شعوب هذه البلدان . . رغم ذلك كله لاتريد أميركا أن تصدّق أن الكويت لم تقم بغير توقيع اتفاق مع دولة تربطها بها علاقات دبلوماسية طبيعية ، ولاتريد أن تعطي لها حق ابرام اتفاق تعاون معها .

وهكذا سارعت واشنطن إلى اعلان معارضتها الشديدة للاتفاق ، وهددت باتخاذ اجراءات لمنع تنفيذ صفقتها العسكرية مع الكويت التي تم الاتفاق عليها في حزيران الماضي .

ولكن قبل أن نتعرف على أبعاد الموقف الأميركي يجدر السؤال عن مضمون الاتفاق السوفياتي الكويتي الذي سيوقع ، بصيغته النهائية ، في الكويت خلال أسابيع قليلة .

لأن التوقيع النهائي لم يتم ، وبالتالي لم يعلن البلدان رسمياً ، عما اتفقا عليه ، اقتصرت المعلومات التي ترددت عن الاتفاق على أنباء صحفية ذكرت ، استناداً إلى مسؤولين في الكويت ، أن الاتحاد السوفياتي سيزود الكويت بأسلحة تبلغ قيمتها ٣٧٢ مليون دولار (قدّرتها المصادر الغربية بـ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مليون دولار) ، وتشتمل على صواريخ أرض جو ، وأنواع مختلفة من الأسلحة .

وذكرت إحدى الصحف الكويتية (القبس ١٤/ ٧) أن الكويت تلقت عرضاً من المسؤولين بتزويدها بجهاز رادار سوفياتي جديد للانذار المبكر ، له الفاعلية نفسها التي يتصف بها نظام طائرات (أواكس) الأميركية .

وأكد المسؤولون السوفيات (حسب القبس أيضاً ١٣/ ٧) لوزير الدفاع الكويتي استعدادهم لتدريب العاملين والفنيين الكويتيين في الاتحاد السوفياتي .

وأشارت معلومات صحفية أخرى إلى أن الاتفاق ينص على استقدام خبراء سوفيات إلى الكويت سيتولون مهمة تجميع وتشغيل الأسلحة الجديدة ، وتدريب عسكريين كويتيين على استخدامها .

وتتوقع مصادر دبلوماسية أن لاتتعجل الكويت في أمر التوقيع النهائي على اتفاقها مع الاتحاد السوفياتي ، وأن هذا التوقيع قد يرجأ إلى مابعد الأشهر الثلاثة القادمة .

ويقول المراقبون أنه على الرغم من أن الكويت ، التي تبدو متحسبة لاستيعاب ردود الفعل على الاتفاق ، تريد استشهار هذه المدة لتقويم ردود الفعل هذه ، ولاسيما تلك التي بدرت عن شركائها في مجلس التعاون الخليجي ، وعن الادارة الأميركية ، والتي دشنتها سابقة وصفها المراقبون بأنها غريبة ، حين تولى أحد الدبلوماسيين العرب التصريح باسم الادارة الأميركية والسعودية معاً ، لشرح وجهة نظرهما في نتائج زيارة وزير الدفاع الكويتي إلى موسكو .

وكانت صحيفة (واشنطن بوست) نسبت إلى دبلوماسي عربي لم تذكر هويته ، ويُرجح أنه سعودي ، قوله أن استقدام الخبراء السوفيات إلى الكويت يمكن أن ينظر إليه على أنه تطور جدي ، بشكل خاص ، بالنسبة للسعودية والولايات المتحدة .

وهدد الدبلوماسي . السعودي بأن هذا التطور قد يؤدي إلى تخريب العرض الأميركي تزويد الكويت بمعلومات فورية وعملية عبر طائرات أواكس الموجودة في السعودية .

وبذلك تشير السعودية إلى ماأعلنته إدارة ريغان قبل أيام عن قيام ضباط أميركيين ورجال انشاءات يعملون بالتعاون مع السعوديين والكويتيين ، منذ أسبوعين ، لاستكمال النواحي التقنية لعملية المشاركة في المعلومات التي توفرها طائرات أواكس .

ومن المعروف أن اجتماع رؤساء أركان حرب دول مجلس التعاون الخليجي الذي عقد في الرياض في الثاني والعشرين من حزيران الفائت أقرّ في إطار «الاستعداد لمواجهة تطورات الأوضاع في الخليج» بنداً خاصاً يقضي بتعميم معلومات (أواكس) على دول المجلس .

ولم تكتف واشنطن بتهديدها المشترك مع السعودية ، بل هددت أيضاً بالغاء صفقة الأسلحة التي أقر الكونغرس الأميركي قبل أسابيع تزويد الكويت بموجبها بأسلحة تبلغ قيمتها ٨٢ مليون دولار .

وأكدت مصادر دبلوماسية خليجية في واشنطن «أن الادارة الأميركية أبلغت الكويت ، عبر أطراف ثالثة ، وبطريقة غير رسمية ، هذا الموقف .

وتتعلل إدارة ريغان في ذلك بأنها «تخشى أن يطّلع السوفيات على نظام الرادار المعقّد والمتطور الذي سوف يتم تزويد الكويت به ، وبالتالي قد لايكون هناك مفر من الغاء الصفقة» .

ومن الواضح أن واشنطن تفتعل تصعيداً في ردة فعلها يقوم على ابتزاز الكويت وتخويفه من عواقب مواقفها من الزيارة الكويتية إلى موسكو .

وفي هذا السياق يمكن أدراج مانقلته (واشنطن بوست) عن مسؤول في وزارة الخارجية الأميركية قال «إننا لانعرف ماستكون عليه ردة فعلنا» !

أما على صعيد مجلس التعاون الخليجي فمن المتوقع أن يدور جدل ساخن بين دول المجلس ، إذا أصرّت السعودية على حرمان الكويت من معلومات (أواكس) عن التحركات العسكرية وحركة الطيران في الخليج ، لأن هذا الموقف سيخلُ بمصداقية أحد أبرز قرارات التنسيق العسكري المشترك بين دول مجلس التعاون .

ولايمكن منذ الآن تقدير ماسيكون عليه موقف دول المجلس الأخرى ، ولكن السعودية إذا تحولت ، علناً ، من موقف الصمت على تزود الكويت بأسلحة سوفياتية «تجاوزاً للحساسيات» ، وحرجاً من الرفض الأميركي لبيع صواريخ ستينغر إلى الكويت ، فإنها ستثير ، وربما على نحو لم يسبق له مثيل ، مسألة التوازن داخل مجلس التعاون القائم على استقطاب تقف الكويت (منذ تشكيله) على أحد طرفيه ، وتؤيدها نسياً ، دولة الامارات ، بينما تمثل السعودية ، ومعها عمان بالدرجة الرئيسية ، الطرف الثاني الذي يعوّل تماماً على (الدعم) و(المساندة) الأميركيتين ، ولايتحرج من الانخراط في الاستراتيجية الأطلسية في الخليج العربي وجنوب شرقي آسيا عامة .

وكان هذا التوازن هو الذي فرض عام ١٩٨١ ، وهو عام تأسيس مجلس التعاون ، دبلوماسياً كويتياً في منصب الأمين العام للمجلس ، وأجبر السعودية على التخلي ، ولو إلى حين ، عن دور (الصقر) الذي لايرى في دول المجلس الصغيرة ، والأقل استعداداً من الناحية العسكرية ، سوى (حمائم) ينبغي (ترويضها) سواء باجبار الكويت على التخلي عن تجربتها ، التي تعتقد هي ، أنها متميزة ، بـ «البرلمانية» و «الحياد والاستقلالية المتوازنة» و «تنويع مصادر السلاح» و «رفض التدخل الخارجي في الخليج» ، أو بالهيمنة العسكرية السعودية المدعمة بالتسليح الأميركي الذي (تهدد) السعودية الآن بأحد (انجازاته) البارزة ، وهي نظام الانذار المبكر وطائرات (اواكس) التي تتولى مهمته .

لقد لخص وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد موقف الكويت من ردود الفعل الخليجية والأميركية بقوله «إن هذه ليست المرة الأولى التي تحصل فيها الكويت على أسلحة سوفياتية» و «إن زيارة وزير الدفاع الشيخ سالم الصباح إلى موسكو لم تفاجيء أحداً بأي حال من الأحوال» .

وفي حين قال الوزير الكويتي أن بلاده تتمتع بعلاقات جيدة مع الاتحاد السوفياتي ، وتقيم علاقات مماثلة مع واشنطن ، يتأكد ، كل يوم ، أن الولايات المتحدة تريد استغلال الخوف الخليجي من تطور حرب الناقلات لتعزيز وجودها العسكري ، واخضاع الخليج ودول المنطقة للستكوم الأميركي الذي يكمن على مبعدة أميال من دول الخليج التي لايرغب بعضها ، والكويت خصوصاً ، بالاشتراك في الحرب المدمرة الدائرة منذ أربع سنوات بين العراق وايران .

مخلص الخليل

قراءة أولى في وزارة مبارك الثانية

بسرعة ملفتة للنظر ، استقالت الوزارة المصرية ، واعاد كمال حسن علي ، كما كان متوقعاً تشكيل الوزارة الجديدة . . . لتكون بذلك ثاني وزارة في عهد مبارك . . . !

ولئن كانت هذه السرعة ، تخفي وراءها صراعاً حاداً على السلطة بين رموز الشرائح والفئات الطبقية التي يتشكل منها التحالف الطبقي الحاكم ، فان هذا الصراع ، على حدته ، يبقى دائراً في اطار ذلك التحالف ، ومستهدفاً السيطرة على موقع صنع القرار السياسي ، دون الخروج ، أو الابتعاد عن نهج كامب ديفيد ، وسياسة التبعية للامبريالية الأمريكية . . .

بيد ان القضية التي لا يمكن اغفال اهميتها ، هي ما جاء به التشكيل الوزاري الجديد من تغييرات ، وتنقلات بين مختلف الحقائب الوزارية . . .

واذا كان تسليم حقيبة وزارة الخارجية قد تم تسليمها لعصمت عبد المجيد رئيس وفد مصر الدائم في الأمم المتحدة ، هو أمر متوقع بعد انتقال كمال حسن علي لرئاسة الوزارة ، فان الاطاحة باللواء حسن أبو باشا من وزارة الداخلية هو الأمر الجدير بالتوقف أمامه . . .

على مدى أكثر من عامين (يناير/ كانون ثاني ١٩٨٢ ـ يوليو/ تموز ١٩٨٤) قضاها في وزارة الداخلية ، اثبت اللواء أبو باشا كفاءة عالية في خدمة النظام وحماية أمنه بقمع الشعب وكبت الجماهير . . .

بيد ان أبو باشا سقط سقوطاً مدوياً في تجربة « انتخابات » مجلس الشعب الأخيرة . . .

فبعد ان تصبب عرقاً وهو يعلن نتائج « الانتخابات » في مؤتمره الصحفي « العالمي » يوم ٢٩/ ٥ الماضي ، عاد بعد ٤٨ ساعة فقط ليصدر ـ باسم وزارة الداخلية ـ بياناً آخر ـ محلياً هذه المرة ـ يتضمن أرقاماً جديدة لنتائج الانتخابات . . .

وكانت الفضيحة كبيرة . . .

فالتباين في الأرقام يؤكد صحة ما تقدمت به المعارضة المصرية من طعون في الانتخابات . . . ويسقط مصداقية النظام حول نزاهة الانتخابات واجواء الديمقراطية التي سارت في ظلها العملية الانتخابية . . .

وإذا كان أبو باشا قد ألقى بمسؤولية تلك الفضيحة على « حياد » رجال الشرطة السلبي ، فان النظام ـ بدوره ـ ألقى بحسن أبو باشا إلى وزارة الادارة المحلية والتي تضم زهاء / ٤٠/ ألف موظف ومسؤول تم « انتخابهم » وفق نظام القائمة المطلقة ، فجاؤوا جميعهم من سدنة النظام ، وخدمه ، أعضاء الحزب الوطني . . . وليثبت أبو باشا كفاءته باستخدام هذا الجيش الضخم من رجال الوطني الديمقراطي . . .

أما وزارة الداخلية ، فقد عهد بها « كمال حسن علي » إلى اللواء أحمد رشدي مدير أمن القاهرة في السبعينات ، المتسلح بشهادات كفاءة وتقدير من التحالف الطبقي الحاكم في قمع التحركات الطلابية والعمالية التي شهدتها مصر خلال تلك الفترة . . .

وهكذا ، فانه اذا كان النظام قد اقر ، ضمناً ، بصحة ما ذهبت اليه المعارضة المصرية بطعنها في نزاهة الانتخابات الأخيرة ، وراح أبو باشا ضحية هذا الاقرار الضمني . . . فان خليفة أبو باشا في داخلية النظام ، يقول للمعارضة ، وعلى لسان النظام ، ان ما جرى في الانتخابات من « نزاهة ! » . . . سيستمر . . . فهذا هو مبرر وجود النظام الحاكم واستمراره . . .

Digitized by Birzeit University Library

ديمقراطية الملك بدون اجنحة

أقدم الملك المغربي مؤخراً على إعفاء رؤساء الأحزاب الستة المستوزرين من مهامهم كوزراء دولة في الحكومة الحالية ، وتأتي هذه الخطوة في خضمّ انتقادات حادة وجهتها بعض الأحزاب الوطنية للعديد من سياسات الحكم ، وقبل شهرين من الانتخابات النيابية المزمع إجراؤها في ايلول المقبل .

وكانت الوزارة المغربية الحالية قد تشكلت في أواخر العام الماضي بعد أيام من خطاب مطول للملك المغربي ، تحدث فيه عن صفة الوزارة الانتقالية ، وحدد مهامها بالاعداد للانتخابات النيابية والاستفتاء في الصحراء الغربية الذي قررته منظمة الوحدة الافريقية في قمتها الأخيرة . واستقبل المراقبون في حينها اشتراك المعارضة في الوزارة بكثير من الشك ، فقد اعتاد ملك المغرب على سياسة «الخطين المتوازيين» في كثير من معالجاته العاجلة ، الداخلية منها والخارجية ، وهذه السياسة كما هو معروف ، تعتمد أساساً على المناورة التي تتحرك بين إرضاء المعارضة من جهة ، وتمرير إجراءات خطيرة من جهة أخرى .

وقد واجهت الحكومة الانتقالية امتحانها الأول عندما أقدم الملك على رفع أسعار الخبز وسلع ضرورية أخرى ، وماستتبع ذلك من انفجار شعبي هائل شمل معظم المدن المغربية الرئيسية ، ففي حينها استفاد الملك كثيراً من وقوف المعارضة بأقوى أحزابها ـ الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ـ إلى جانبه من حيث الموضوع . . وبالرغم من زج العديد من كوادر الحزب وغيره من أحزاب المعارضة الوطنية في السجن بتهمة الاشتراك في ماعرف «بثورة الخبز» ، إلا أن كل ذلك لم يفصم العلاقة الوزارية التي تربط الحزب بالحكم ، مما وضع الحزب في مواقع حرجة إزاء الجماهير العريضة المؤيدة له ، وساهم في وأد الانتفاضة .

معارضة بالانتقادات

وفي الآونة الأخيرة حيث ازدادت وطأة الأزمة الاقتصادية واشتد فقر الطبقات الكادحة ، زاد حزب الاتحاد الاشتراكي من وتيرة انتقاداته وخصوصاً في القضايا الاقتصادية والتعليمية التي بدت قضايا الشارع المغربي بأسره . وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني في المغرب برعاية الملك ومباركته ، لم يخفِ الحزب انتقاداته الشديدة . إلا أن تقرير المؤتمر الأخير للحزب حمل ذروة تلك الانتقادات عندما طالب بادخال تغييرات «جذرية على النظام الرأسمالي الحر» وأكد بأنه «لايوجد شعاع من الأمل في الأفق بالنسبة للأغلبية الساحقة من الشعب المغربي» في ظل حكم بلغت ديونه الخارجية ١٢ مليار دولار وسجلت البطالة رقماً بلغ ١,٥ مليون عاطل عن العمل . وأدان التقرير «وصاية صندوق النقد الدولي الذي فرض في محاولة لحل الأزمة الاقتصادية المغربية اجراءات تقشف ترقى إلى خطة فقر تثقل كاهل المواطنين الأشد فقراً» واعتبر التقرير «أن حل جميع المشاكل مرهون بتغيير جذري وتحول عميق في الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية» .

وقد بات متوقعاً الآن أن يسحب الاتحاد الاشتراكي ممثله الوحيد المتبقي في وزارة الملك الحالية ، والذي يحمل حقيبة وزارة التعاون ، بعد أن أكد زعيم الحزب عبد الرحيم بوعبيد مجدداً على أن اشتراك حزبه في الحكومة عابر ومؤقت ومحدد من حيث الوقت والهدف . . إلا أن ذلك لايمنع أن أصواتاً كثيرة في الحزب مازالت ترى الشراكة الوزارية الحالية قابلة للاستمرار .

أما الملك فلم يكف عن تحذيراته وتهديداته ، ففي خطابه الذي أعلن فيه عن إقالة الوزراء الستة ، طالب جميع الذين سيخوضون الانتخابات المقبلة بضرورة التزام نوع من الهدنة ، قائلاً بأنه (سوف لن يغفر أبداً لكل من يتلاعب بالأرقام خلال المدة الفاصلة حتى الانتخابات) وهو أمر يتعلق بالانتقادات التي كثرت أخيراً حول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الآخذة بالتدهور .

إن إقالة الوزراء الستة في هذا الظرف بدت وكأنها قد وفرت على الاتحاد الاشتراكي ـ أشد منتقدي الحكم ـ فرصة للمضي قدماً في انتقاداته دون وضع اعتبار للمشاركة بالحكومة ، أو التقيد بها .

الخطوة الأولى

إلا أن المراقبين ينظرون إلى عملية الاقالة باعتبارها مقدمة لاجراءات لاحقة ، تعطي سلفاً صورة تعسفية عن الانتخابات المقبلة ، حيث يتردد في المغرب الآن أن أجنحة الديمقراطية القصيرة أصلاً ستتعرض للقص بقسوة وشدة كبيرتين . فالملك الذي يدعي الشعور بالقوة في حرب الصحراء بعد استكمال بناء الجدار الثالث الدفاعي ، لم يعد بحاجة إلى تسديد فواتير «ديمقراطية» أكبر خصوصاً وأن الأحزاب الوطنية قد استطاعت في الفترة الماضية أن ترسخ قدامها الانتخابية بشكل ملحوظ ، مما يجعل نزاهة الانتخابات أمراً حاسماً بالنسبة للملك وأحزابه ، وهو أمر بات موضع شك كبير لدى المواطنين والمراقبين على حد سواء ، بعد إجراءات الملك الأخيرة .

على صعيد آخر يشكل إصرار الملك على دعم النشاط الصهيوني في المغرب ، عنصر استفزاز إضافي حيث يترتب على القوى الوطنية والتقدمية أن تفتح تلك الجبهة مع النظام عاجلاً أم آجلاً . وكان الملك قد قدّم مؤخراً وسام «العرش» المغربي لرئيس مجلس الطوائف اليهودية دافيد آمار الذي نظّم في أيار المنصرم مؤتمراً صهيونياً بالرباط حضره ٣٨ اسرائيلياً من بينهم عدة أعضاء في الكنيست الاسرائيلي .

ان مجريات الأحداث في المغرب تقود الى الاعتقاد بأن المرحلة المقبلة التي من المنتظر أن يلعب الملك المغربي فيها دوراً بارزاً على صعيد تسوية الصراع العربي ـ الصهيوني لاتتسع لوجود أحزاب تقدمية واضحة المواقف من هذا الصراع .

لذلك تبدو اجراءات الملك بمثابة خطوات لتهيئة «الداخل المغربي» بما يتلائم وتلك المرحلة . وهو «داخل» لن يقل تعسفاً عمّا كان عليه أيام لقاءات التهامي ـ بموشي دايان في الرباط تمهيداً لزيارة السادات للقدس عام ١٩٧٧ .

فهل ينجح الملك ثانية في ترتيب «بيته» تمهيداً «للقاءات» قادمة ؟ ■

انخفاض عدد المهاجرين الى الكيان الصهيوني !

● جاء في احصاءات حكومية نشرت في القدس المحتلة أن الهجرة الى الكيان انخفضت بمقدار ٢,٥ في المائة في النصف الاول من العام ١٩٨٤ . وأشارت الاحصاءات التي نشرتها وزارة الهجرة ان ٦٧٦٩ مهاجراً ماين كانون الثاني وحزيران بالمقارنة مع ٦٩٣٦ مهاجراً في الفترة نفسها من العام الماضي .

وظهر ان أكبر عدد من المهاجرين جاء من افريقيا حيث بلغ عددهم ١٦٩٨ مهاجراً ، في حين سجل انخفاض في عدد المهاجرين من الولايات المتحدة وأميركا الجنوبية .

من ناحية أخرى ، قالت اللجنة الدولية للهجرة ، ومقرها جنيف ، ان عدد المهاجرين اليهود الذين تركوا الاتحاد السوفييتي خلال حزيران الماضي بلغ ٧٢ مهاجراً ، وهو عدد يقل بـ ٣٠ مهاجراً عن الفترة نفسها من العام الماضي . وأضافت اللجنة ان ١٠٩ يهود تركوا الاتحاد السوفييتي في أيار و ٧٤ في نيسان ، و٥١ في آذار و٩٠ في شباط و٨٨ في كانون ثاني .

وفي تل ابيب شكلت حكومة اسحق شامير لجنة حكومية لمعالجة قضايا استيعاب اليهود الجدد الذين يعدون الى فلسطين المحتلة من افريقيا . وقال أهارون أوزان ، وزير الاستيعاب ، ان اللجنة تتكون من المديرين العامين في وزارات المعارف والثقافة والصحة والعمل والرفاه الاجتماعي والمالية والداخلية والاسكان والتعمير وهيئات اخرى .

وجهاً لوجه

بعض الأنظمة العربية يحرص في تصريحات مسؤوليه ، هذه الأيام ، على التأكيد أنه لايرى فرقاً بين «الليكود» و «المعراخ» . أحياناً تكون التصريحات صادقة ويعني أصحابها مايقولون . وأفضل دليل على هذا مانشرته صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية وبعث به مراسل صحيفة «معاريف» الاسرائيلية في مطلع شهر تموز الجاري .

ففي عددها الصادر في ٢/ ٧/ ٨٤ ، نشرت «معاريف» رسالة لمراسلها في نيويورك قال فيها : «إن الثري السعودي عدنان خاشقجي اجتمع قبل حوالي شهرين مع وزير الصناعة والتجارة جدعون بات ومدير عام وزارة الخارجية دافيد كمحي ورئيس شركة الكيمياويات والفوسفات يورام زيوي .

وفي عددها الصادر في ١/ ٧/ ٨٤ ، ذكرت «نيويورك تايمز» أن رئيس حزب العمل شمعون بريز تحدث مع خاشقجي حول «مشروع للتعاون الاقليمي يقوم على أساس تقديم مساعدة اقتصادية للدول العربية في الشرق الأوسط التي توافق على توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل» . وأضافت الصحيفة : «إنه حسب مشروع المعراخ تقيم الولايات المتحدة والسعودية صندوقاً للمساعدات الاقتصادية للدول العربية التي توقع على السلام مع اسرائيل» !

وهكذا فإن عدم التفريق بين «الليكود» و «المعراخ» تؤكده اتصالات خاشقجي ، حيث أنه بات وكيمحي ينتميان إلى التجمع الأول بينما يتزعم بيريز التجمع الثاني . والأرضية التي تقوم عليها هذه «المساواة» هي القرار المتخذ بالاستسلام للعدو الصهيوني والامبريالي الأميركي . والمدهش في موقف أصحاب هذا التوجه ليس قرار الاستسلام بل أنهم يدفعون ثمن الاستسلام أيضاً . . !!

عوني . .

بدء محاكمة مرتزقة يهود !

● بدأت في لندن ، في الاسبوع الماضي محاكمة ثلاثة اسرائيليين بتهمة خطف وتخدير النقل النيجري السابق اومادو ديكو اللاجيء في بريطانيا والذي عثر عليه في صندوق تابع لحقائب دبلوماسية كانت في طريقها الى لاغوس .

والاسرائيليون الثلاثة المحتجزون هم : الدكتور ليف أري شابيرو ، الكسندر باراك وهو رجل اعمال ، وفيليكس مسعود ابي طبول .

وجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية نفت ان تكون لها اية علاقة بالخاطفين !

شامير : حرب لبنان أنهت «مايسمى بالقضية الفلسطينية» !

● قال اسحق شامير ان اجتياح لبنان «وضع نهاية للارهاب الفلسطيني ولما يسميه العالم بالقضية الفلسطينية» . وذكر شامير في كلمة ألقاها في مهرجان انتخابي اقيم في ناتانيا ان «اسرائيل سوف تتمتع يوماً باستقلال اقتصادي» مثلما وضعت حداً لتهديدها من الشمال .

Digitized by Birzeit University Library

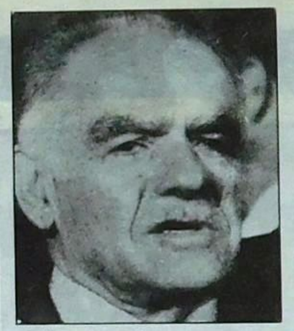

شامير : الهجوم الأخير

هجوم «الليكود»
الأخير نحو ٢٣ تموز

اللجوء الى السلاح الثقيل

اليوم ، انتهت عملية السباق بين الأحزاب السياسية في الكيان الصهيوني التي استمرت ١١٥ يوماً وبدأ المستوطنون الصهاينة يتوافدون على مراكز الاقتراع . والمؤكد أن هذه الأحزاب جميعها وصلت إلى نهاية السباق متعبة تقطر عرقاً وفضائح . ويمكن القول : قبل ظهور النتائج ، إن أياً منها لم يحصل على ثقة الناخب الاسرائيلي . إلا أن هذا لايلغي حقيقة وجود فائز .

لن نقول من سيفوز ، فقد قلنا ذلك في الأسابيع الماضية وسيكفينا انتظار ساعات قليلة مؤونة التكهن هذه المرة خصوصاً أن الاقتناع السائد لدى دوائر المراقبة جميعاً يؤكد فوز «العمل» . وقد يكون من الأفضل ، الآن ، التوقف عند ماحدث في الأسبوع الأخير من السباق ، ففيه مايلقي الضوء على حقائق كثيرة .

الاقتراب من ساعة الصفر كان يرفع من حدة المنافسة بين التكتلين السياسيين الكبيرين بقدر ماكان يزيد الارتباك والتردد لدى الناخب . وفي الأسبوع الأخير لجأ كل من المتنافسين إلى آخر أوراقه دون أن يترك ، كما يبدو ، أي تأثير حقيقي على أصحاب الأصوات . وكانت المناظرات التلفزيونية بين زعماء الأحزاب على شاشة التلفزيون ، وعرض البرامج الانتخابية هي النقلة النوعية في المعركة بدون التأثير النوعي . لقد كتبت صحيفة «هآرتس» تعلق على مناظرة بيريز ـ شامير التلفزيونية تقول بنوع من الاستخفاف : «إن ظهور بيريز وشامير على شاشة التلفزيون يهدف إلى تمضية الوقت بين نجوم التسلية الكبار» ! وكان تطعيم المناظرة بفقرات إعلانية وفكاهية مصدر سخرية واضحة حيث أضافت الصحيفة : «إنه ليست هناك دولة ديمقراطية يقوم فيها نجوم التسلية بعمل الأحزاب والأشخاص الذين يطلبون ثقة الناخبين» ! أما يوئيل ماركوس ، المعلق السياسي في «هآرتس» فقد كتب يقول حول الموضوع نفسه : «من المشكوك فيه أن تترك هذه البرامج أثراً على نتائج التصويت» !

وفي رأي «هآرتس» أنه من «المتوقع أن النصر في الانتخابات سيكون من نصيب المقاعد المتفرقة» . وبالفعل ، فإن استطلاعات الرأي الأخيرة دلت على أن «الليكود» حقق تقدماً وكذلك الأحزاب الصغيرة على حساب حزب العمل ، الأمر الذي يشير إلى أن نتائج انتخابات الكنيست الحادية عشرة لن تختلف كثيراً عن نتائج الانتخابات في المرات العشر السابقة .

وإذا كان حزب العمل قد أظهر اطمئنانه إلى نتائج الاستطلاعات التي أكدت فوزه ، فإن «الليكود» لم يسلم بتلك النتائج ، وزعماؤه يتحركون ويتصرفون وكأن كل شيء على خير مايرام إضافة إلى أنهم لجأوا في الأسبوع الأخير من المعركة إلى مايمكن اعتباره «السلاح الثقيل» لديهم !

فشامير صرح مؤخراً بقوله : «إن الأشياء تسير على مايرام ، والاسرائيليون يعرفون أن أعداءنا فحسب يفضلون حزب العمل» ! من ناحية أخرى ، تحرك مناحيم بيغن ، ولأول مرة منذ اعتزاله ، ليشارك بشكل رمزي في معركة الانتخابات عندما تبرع للصندوق الانتخابي لتكتل «الليكود» بمبلغ ٢٥ ألف شاقل (١٠٠ دولار) . وزعامة «الليكود» تمارس عليه ضغوطاً شديدة عبر التجمعات الحزبية والمهنية لدفعه إلى التدخل ، ولايستبعد أن يتحرك في اللحظة الأخيرة ، وإذا فعل ذلك فسيكون محاولة للتأثير على أصوات المترددين ولن يكون الأمر بلا مردود .

كذلك ، أعلنت الحكومة عن بدء حملة جديدة لبناء المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الغرض منها التأكيد على ثبات السياسة التي يتبعها التكتل ومن ثم استقطاب القوى الصهيونية حوله . والدليل على أهمية هذه الخطوة وتأثيرها على الناخبين الصهاينة ظهر في محاولة أنصار وصحف «المراخ» إظهارها «كمحاولة للتأثير في الانتخابات» وتأكيد هؤلاء على أن المستوطنات التي أعلن عن اشتمال الحملة الاستيطانية الجديدة عليها إنما تعود إلى قرار سابق اتخذته الحكومة «قبل شهر من التاريخ الجديد للاعلان عنها !!

من جهة ثانية ، كان إعلان الحكومة عن إجراء استدعاء قوات الاحتياط في الجيش الاسرائيلي ـ وهو إجراء يتخذ للمرة الرابعة في عام واحد ـ محاولة أخرى من جانب حكومة شامير لاظهار «صلابة الموقف العسكري والسياسي» الذي تتمسك به حكومة «الليكود» تجاه الدول العربية .

وقد يقال بأن الاقدام على هذه المواقف في هذا الوقت بالذات يدعم التصور القائم على أساس أن حزب العمل هو الأقدر على اخراج الكيان الصهيوني من مأزقه الراهن ، إلا أن الحقيقة غير ذلك إذا تذكرنا أن التشدد هو سلاح «الليكود» وأن «أمن اسرائيل» هي كلمة السر في عملية غسل الدماغ الأكثر صهيونية . ومن هذه الزاوية تعتبر السياستان الاستيطانية والأمنية فعلاً سلاح «الليكود» الثقيل !

من سيفوز في انتخابات الكنيست الحادية عشرة ليس هو السؤال الأهم الآن بل السؤال هو : أي نوع من الفوز سيحقق الفائز ؟ كل المؤشرات لاتوحي بتغيير جوهري في خارطة الصراع على السلطة في الكيان الصهيوني ، وهذا عامل آخر يسقط المراهنة الجارية لدى بعض العرب على فوز حزب العمل .

عوني صادق

مخاوف «المرشح» !

قبل أن يتخذ المرشح الديمقراطي للرئاسة الأميركية ولتر مونديل قراره باختيار جيرالدين فيرارو لمنصب نائب الرئيس ، دغدغت عواطفه ومشاعره تلك الجلسة التي كان ضيف الشرف فيها على «المنظمة» القومية للمرأة» التي عقدت اجتماعاً لها في ميامي على شرفه ، وأفهمته الحاضرات أنهن يوافقنه على الخطوة التي قام بها والمتمثلة في تعبيره عن استعداده لاتخاذ امرأة كرفيقة له في معركة الانتخابات الرئاسية ، ولكنهن طالبنه بالربط بين القول والفعل . . وإلا فإنهن سوف يتقدمن بلائحة إلى مؤتمر الحزب الديمقراطي المنعقد حالياً لاختيار مرشحه رسمياً ، للاحتجاج على تراجعه في اختياره . .

والأرجح أن لدغدغة العواطف وللتهديدات أيضاً قيمتها لأن نصف النواب الذين اجتمعوا في سان فرانسيسكو من النساء . . فكان قرار اختيار فيرارو للقرار إذن مبرراته ، ولكن له مخاوفه كذلك . فمونديل ذاته أعرب عن تخوفه من أن يؤدي اختياره لسيدة ، إلى استياء الناخبين الذين لايرغبون في وصول النساء إلى مناصب رفيعة في الدولة .

وقد جاء الاستطلاع الذي أجرته صحيفة «الواشنطن بوست» بالاشتراك مع شبكة تلفزيون «اي بي سي» ليؤكد هذه المخاوف فحسب النتائج التي أعلنت لايزال ريغان يتقدم على منافسه مونديل في انتخابات الرئاسة بسبع نقاط !

شؤون دولية

الهند

نشرت الحكومة الهندية تقريراً عن أحداث العنف التي اجتاحت ولاية البنجاب في الفترة الأخيرة ، ويعد هذا التقرير بمثابة التفسير الرسمي لسبب اصدار الأمر للجيش باقتحام المعبد الذهبي في امريستار .

وأشار التقرير إلى أن الحكومة كانت لديها الأسباب للاعتقاد بأن الارهابيين تلقوا أنواعاً مختلفة من الدعم من مصادر أجنبية . وذكر أن ٥٥٤ شخصاً من السيخ المتطرفين قتلوا وجرح ١٢١ آخرين خلال العمليات التي قام بها الجيش في الولاية في الفترة بين ٦ و ٣٠ حزيران ، في حين قتل ٩٢ جندياً وجرح ٢٨٧ آخرين .

وأكد التقرير على أن الانفصاليين والارهابيين «كدسوا الأسلحة في المعبد الذهبي وغيره من المعابد وقتلوا أبرياء من السيخ والهندوس ووضعوا قائمة طويلة بالاغتيالات . وانتهى إلى التأكيد بأن أي تأخير من جانب الحكومة في مواجهة هذه الأعمال الارهابية كان سيؤدي إلى كارثة على مجمل الوطن .

الاتحاد السوفياتي

لدى استقباله الأمين العام للأمم المتحدة بيريز دي كويلار أشار رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى قسطنطين تشيرننكو إلى الموقف السوفياتي الثابت حيال تنقية المناخ الدولي وكبح جماح سباق التسلح . وقال إن الاتحاد السوفياتي يرى «أن المهمة الرئيسية الراهنة تكمن في ضرورة ابعاد خطر نشوب حرب نووية» لافتاً الأنظار إلى الاقتراحات السوفياتية الهادفة إلى حل هذه المسألة .

من ناحية رحب دي كويلار «بما يبذله الاتحاد السوفياتي من جهد لابعاد خطر اندلاع حرب نووية وتخفيف حدة التوتر الدولي» ، داعياً إلى «صيغة مساهمة الأمم المتحدة في حل القضايا المتعلقة بتوطيد السلام والأمن الدوليين» .

اليونان

هددت اليونان مجدداً ، باغلاق القواعد العسكرية الأميركية الأربع وعطلت إذاعة «صوت أميركا» العاملة على أراضيها إذا ماأخذت واشنطن بميزان القوة بين اليونان وتركيا في بحر ايجه .

وأوضح الناطق باسم الحكومة اليونانية ديمتريس مردواس أن «ثمة شرطاً لديمومة النهج الطبيعي في العلاقات اليونانية ـ الأميركية ، بما في ذلك عرض استقبال القواعد الأميركية وصوت أميركا لمدة خمس سنوات ، وهو الحفاظ على ميزان القوى في ايجه» .

أضاف مردواس أنه «يمكن أيضاً إزالة هذه القواعد ، إذا واصلت الولايات المتحدة التدخل في شؤوننا الداخلية واتهم الولايات المتحدة بشن حملة على الحكومة الاشتراكية اليونانية عبر بيانات يذيعها دبلوماسيون يخفون أسماءهم ، ومن خلال تسريب معلومات مضللة إلى الصحافة» .

بريطانيا

توقفت الحركة التجارية الخارجية بنسبة ٧٠٪ خلال الأسبوع الماضي مع اتساع اضراب عمال الموانىء وانضمام عمال آخرين إلى موجة الاضرابات العمالية التي تشهدها بريطانيا حالياً .

ففي الوقت الذي وصل اضراب عمال مناجم الفحم الحجري الذي بدأ قبل أربعة أشهر إلى ذروته ، فرض البحارة البريطانيون خطراً على شحن العبّارات نتيجة خلاف على خطط الحكومة لبيع بعض المؤسسات التي يملكها القطاع العام . وبدأ عمال السكك الحديد اضراباً لمساندة عمال أرصفة الموانىء والبحارة .

Digitized by Birzeit University Library

على هامش اجتماع وزراء النفط في فيينا

هل انتهى العصر الذهبي لاوبيك ؟

أنهى وزراء منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبيك) مؤتمرهم الوزاري يوم ١١ تموز (يوليو) الحالي في فيينا ، دون التوصل عملياً لاتفاق حول الموضوع الرئيسي على جدول أعمال المؤتمر وهو إعادة توزيع حصص الانتاج بين بلدان المنظمة . الأمر الوحيد الذي اتفق عليه الوزراء هو السماح لنيجيريا بزيادة حصتها مؤقتاً من ١,٣ مليون برميل يومياً لشهر آب (اوغسطس) إلى ١,٥ مليون برميل لشهر ايلول (سبتمبر) على حساب المنتج الأكبر : السعودية .

ولاريب فإن هذه النتيجة التي توصل إليها المؤتمر سوف تزيد في تعقيد الأوضاع بالنسبة للمنظمة في الوقت الذي تنخفض فيه أسعار النفط الخام في السوق الحرة بسبب التوقعات المتشائمة حول فرص الانتعاش الاقتصادي في بلدان أوروبا الغربية .

لقد كان وزير النفط الفنزويلي سوبرتو على حق حينما أعلن أنه لن يجري في المؤتمر الحالي أي نقاش لاحتمال الاتفاق على استراتيجية نفطية من قبل البلدان الأعضاء من شأنها مواجهة الأوضاع التي تشبه «الكارثة» .

قول الوزير الفنزويلي يكتسب مصداقيته من الأوضاع التي تمر بها منظمة (أوبيك) وهي ليست بأي حال بعيدة عن سلسلة التطورات الاقتصادية على الصعيد العالمي وفي العلاقة بين أعضاء المنظمة أنفسهم .

غير أنه لابد من التأكيد على أن هذه التطورات الجديدة في سوق النفط ، إنما هو نتيجة وليس سبباً لتراجع قوة (أوبيك) في السوق النفطية الدولية . وعليه ، فإن التطور المتوقع لهذه السوق يعتمد على المتغيرات المؤثرة على عرض النفط والطلب عليه ، وبصورة رئيسية عدد المصدرين ، والتماسك بين الأعضاء ، وقوة الطلب على النفط .

وليس من شك فأن الصعوبات بالنسبة للاعضاء في (اوبيك) مافتئت تتزايد بشكل مقلق ، نتيجة استمرار الركود الاقتصادي من جهة وزيادة انتاج البلدان غير الاعضاء في «الاوبيك» من جهة اخرى .

تقرير وكالة الطاقة الدولية اظهر ان الفائض في العرض في الربع الثاني من هذه السنة بلغ ١,٨ مليون برميل يومياً اي بزيادة قدرها ٤٪ على الاستهلاك الذي قدر بنحو ٤٤ مليون برميل يومياً . وذكر التقرير «ان هذا الحجم الضخم مؤشر آخر لوفرة المعروض» ، حيث قدر المعروض بالسوق العالمية بنحو ٤٥,٨ مليون برميل يوماً من بينها ١٩ مليون برميل من (اوبيك) في الفترة من نيسان الى حزيران ١٩٨٤ . ولاحظ التقرير ان ذلك يزيد ٠,٦ مليون برميل يومياً عن التنبؤات السابقة ، وان ذلك يرجع الى حد بعيد الى التقديرات الاكبر للانتاج الايراني وانتاج السعودية في حزيران .

ويذكر التقرير ان اسعار السوق الفورية انخفضت بما يرواح بين دولار ودولارين للبرميل بالنسبة الى النفط الخام ومشتقاته في الاسواق الرئيسة في حزيران ، اضافة الى ذلك فقد زاد استهلاك النفط في الربع الثاني من عام ١٩٨٤ في البلدان الصناعية الغربية الاعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بنسبة ٣٪ عما كان في الفترة نفسها عام ١٩٨٣ . واوضحت البيانات عن استهلاك بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في الربع الاول وجود زيادة بنسبة ٩ر٤٪ عما كان في الفترة نفسها من العام الماضي . وزاد الطلب في البلدان الاعضاء في المنظمة في هذه الفترة ، وهي اول زيادة من نوعها منذ خمسة اعوام . لكن الوكالة اعتبرت ان هذا الاتجاه قد لايستمر بالنسبة الى اوروبا .

وتشير معظم الدراسات والمعطيات المتوافرة الى ان الطلب العالمي على النفط لن يزداد الا قليلاً خلال السنوات القادمة ، وذلك نظراً لضعف الازدهار الاقتصادي المرتقب واجراءات المحافظة على الطاقة وتوفرها من قبل البلدان المستهلكة للنفط حيث يتزايد المخزون الاحتياطي الاستراتيجي لهذه البلدان بمعدل ١ر٧ مليون برميل يومياً ، وبات لديها مايكفي لتغطية استهلاكها لمدة ٩٧ يوماً .

وبسبب حالة السوق هذه ، فإن عائدات بلدان (اوبيك) هبطت الى ادنى مستوى لها منذ عام ١٩٨٢ ، الامر الذي ادى الى بروز عجز اجمالي في حساباتها الجارية قدر بثلاثين مليار دولار . وتختلف حدة هذا الاثر بين بلد وآخر . ووصلت اقصاها في العراق حيث انخفضت قيمة الصادرات بنسبة ٧٠٪ .

وبالطبع ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ارتفاع مستوى الاسعار العالمي الذي ازداد اكثر من ٥ر١٠٪ في عام ١٩٨٣ ، فان نسبة الضرر الذي عانته هذه الدول تكون اعلى مما ذكر .

ازاء مجمل هذه الصعوبات على الصعيد الدولي وفيما بين الاعضاء حذر تقرير اصدرته مجموعة من الخبراء عن المصاعب العديدة التي تواجه منظمة (اوبيك) وتهدد وحدتها وقدرتها على الدفاع عن اسعار النفط ، واكدا التقرير حاجة بلدان المنظمة الى التضامن من اكثر من اي وقت مضى ، مشيراً الى ان المنظمة سوف تواجه المصاعب جمة ، ينبغي ان تستعد منذ الان لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بمواجهة ظروف سوق النفط على المدى الطويل .

ولكن ، بدلاً من ان تلجأ بلدان المنظمة الى دراسة الاجراءات اللازمة لانعاش الطلب على النفط ، باعتبار ذلك امراً ضرورياً بصفته يشكل نقطة انطلاق جديدة في مجالات التسعير والانتاج ، بدلاً من اقامة علاقة بناءة مع البلدان الاخرى المنتجة للنفط وغير الاعضاء في (اوبيك) لتجنب نشوب حرب الاسعار ، لجأت العديد من البلدان الاعضاء الى سياسة هي في المحصلة في مصلحة الشركات الاحتكارية والبلدان الصناعية ، حينما اقدمت على تسويق نفوطها بحسومات كبيرة بغية زيادة انتاجها

كلهم رجال . .
كلهم تحت الشمس . .
كلهم عائدون الى حيفا

في الثالث من آيار ١٩٨٤ اغتيل حنا مقبل وفي الرابع عشر من تموز ١٩٨٤ حاولوا اغتيال طلال سلمان وحيثما امتد بك البصر في هذا الوطن محاولة مستمرة لاغتيال الكلمة الحقيقة .

لكن الحقيقة التي تدفع نفسها يومياً تحت ضوء الشمس واشعة القمر هي أن الاغتيال فاشل إذ يستمر الصراع وتتتابع الايدي لتحمل راية الحق .

في الثامن من تموز ١٩٧٢ اغتال العدو غسان كنفاني . وكان اختياره لغسان مستنداً لمعرفة بدور غسان وقلم غسان في التصدي للعدو داخلية و خارجي .

زرعوا في الشعب الفلسطيني غرسه المقاومة المسلحة وبثوا في أوصاله أمل العودة الى حيفا .

كما كان سيفاً ماضياً يقطع أوصال العدو الاعلامية وادعاءاته على جبهة التقدميين والديمقراطيين في العالم .

وفي العاشر من نيسان ١٩٧٣ صلبت رصاصات العدو فم كمال ناصر لنفس السبب أيضاً .

واستمرت جرهم الشعواء لقتل أصحاب قلم الحق .

كم من مرة حاولوا ضرب مركز الابحاث ومديره والعاملين فيه . وأخيراً عندما لاحت لهم الفرحة باحتلال بيروت لم يكتفوا بنهب محتويات المركز من كتب ووثائق وأبحاث بل فجروا حقدهم على منجزات أصحاب القلم بممارسات حاقدة شهدت عليها أجهزة الاعلام العالمية .

في الذكرى الثانية عشر لاغتيال غسان نكتشف أن الدموع جفت في مأقينا وأننا نكتفي بأن نستمد من هؤلاء الابطال الذين دفعوا الثمن غالياً كي تستمر المسيرة لخيرة .

بسام أبو شريف

المشاركون في الملف :

- يوسف اليوسف
- د . محمود موعد
- د . أحمد أبو مطر
- شاكر السماوي
- د . عبد الرزاق عيد
- خليل الخليل
- الياس خوري
- يمنى العيد
- بسام أبو شريف

— ترتيب المواد يخضع لاعتبارات فنية محضة .

تنويه

« تعتزم الهدف عن نشر بعض الاسهامات حول ذكرى استشهاد غسان كنفاني ، وستعمل على نشرها في العدد القادم »

Digitized by Birzeit University Library

الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني

غسان كنفاني أو رعشة المأساة

يوسف سامي اليوسف

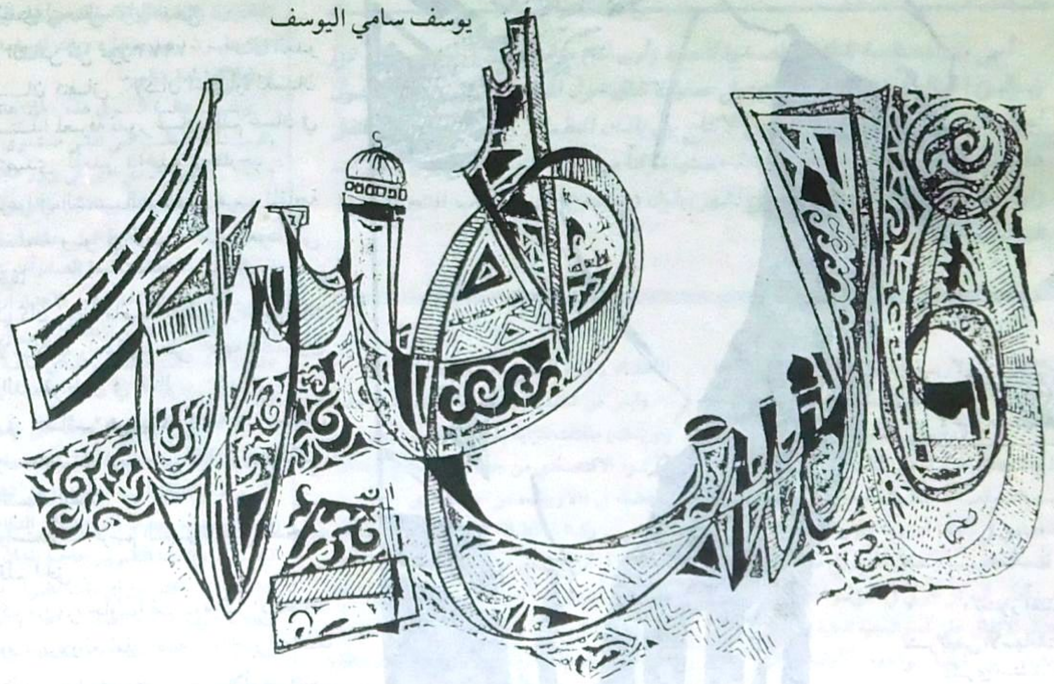

ماتبتغيه هذه المقالة أن تقترب بعض الاقتراب من الوجدان التراجيدي النابض في تراث غسان كنفاني ، ولا سيما في روايتيه المشهورتين : « رجال في الشمس » و « ماتبقى لكم » ، إذ في هذين العملين على وجه الحصر ، بلغ غسان الى أقرب الأطوار من الطور التراجيدي الأصيل . والمؤسي حقا هو أن يلاقي غسان مصيره النهائي وهو على بعد خطوة واحدة وحسب من ذروة قوس العمر ، وكذلك من عتبة الفسحة التراجيدية ، أو فسحة النص الأدبي التراجيدي . ففي السادسة والثلاثين يبدأ كاتب النثر ، أو هو يدخل أنضج أطواره على الاطلاق ، أما غسان فقد كان عليه أن ينتهي في هذا السن .

وللحق ماكان غسان في مقتله ومونه المبكر إلا فجيعة من فصيلة التراجيديا فهو ، تماما كانحدار ابطال شكسبير كهملت أو مكبث ، يهوي في الهوى المأسوي الكارث بفعل النبض الاستثنائي الذي ينتتب في أصل أرومة نفسه ، أو أقل بفعل تلك المزية السرية التي تصنع الأبطال التراجيديين في كل زمان ومكان . فلماذا اغتيل غسان إن لم يكن السبب مايدخره في أعماقه الغنية من استطاعات رصينة مأهولة بالحرتوم التراجيدي ومن شأنها أن تقود صاحبها الى السقطة التراجيدية المروعة ؟ فالعبقري ، مالم يحيّد نفسه ، لن يكون إلا وزراً ثقيلا على زمن أصابه اليباس والعقم في الصميم . ولهذا حصرا قتل المتنبي . وللسبب نفسه قتل غسان .

وفي تقديري أن الذين عايشوا غسان من موقع الكتب ماكان ليفوتهم مايستتب في روح غسان من أصالة الوجد ان التراجيدي الذي يتألف صاحبها ولا يسعد ، أو قل من كبرياء غاضبة يمازجها شيء من حزن مرهف شفيف ، ولكنه لايخلو من غموض .

ولئن لم يكن مثل هذا الظن مصيباً فإن تراث غسان يهب العقل جملة الحق في استساغة مثل هذا الظن الذي يكاد أن يضارع اليقين .

من الغرائب حقاً ، بل مما يثير في الرأس الف سؤال وسؤال ، أن النثر المقاوم (أقصد النثر الذي يتمحور حول الموضوعة الفلسطينية ، سواء أكتبه الفلسطينيون أم غير الفلسطينيين) لم يستطع أن يرتقي الى مستوى التراجيديا ، أنبل صيغة لأنبل كتابة بأية لغة من اللغات البشرية . نعم ، من المستهجن فعلاً أن لايبلغ الأدب المقاوم الى برهة انتاج النص التراجيدي ، على الرغم من فداحة الفجيعة ، وكذلك على الرغم من مرور جيل بكامله على الحدث الذي ينبغي له أن يدشن الوجدان الفلسطيني وأن ينبث في جملة محتوياته . والمحاولة الوحيدة التي بذلت في هذا المضمار ، وهي المحاولة التي بذلها شاب قتل في منتصف العمر تقريباً ، لم تلق من يتابعها ويؤثلها في تراث شعب .

ماذا ، أي روح هذا الجيل من البلادة مايمنعه من الشعور بحجم النكبة وألم الفاجع ؟ هل إستطاع الفُسق السفطي أن يتأكلنا الى حد بات معه الوجدان المأسوي غريباً علينا نحن أبناء النكبة ؟ أيمكن لهذه الظاهرة (غياب النص التراجيدي) أن ترد الى مجرد العجز عن الصياغة والتعبير ، ليس إلا ؟ ولئن كان الأمر كذلك ، أفلا يمكن القول بأن وهن العبارة وركاكة الصياغة لاعلة لها الا وهن الوجدان وهلهلة الشعور ؟

هاقد مر على النكبة زهاء جيل كامل (إذ الجيل عند ابن خلدون اربعون سنة ، وعند افلاطون عشرون) ، ومع ذلك لم يظهر فيلسوف فلسطيني واحد يتمثل روح المسيح المألوم ، روح فلسطين المصلوبة على جدار هذا العصر الزنيم . نحن الفلسطينيين لانقل حاجة الى فيلسوف وجداني يتألم ويفلسف الألم عن حاجتنا الى قدائي يفتدي الزمن المحبوس والانسان المصلوب بأنفس مادة في الكون ، بالدم البشري المقدس ، الوقود الوحيد لعربة التاريخ . فعندي أن هذا الفداء اليسوعي الماهية لايكمله ولا يهبه معناه إلا كيركجور فلسطيني ، إلا فليسوف مأسوي يستنبط اللامعقول من التاريخ والسياسة اكثر مما يستنبطه من المحتويات السرمدية للروح البشري .

نعم ، نحن الفلسطينيين في مسيس الحاجة الى كيركجور فلسطيني يشتق التراجيدي من قلب التاريخي ، وذلك فقط لكي نسوغ وجودنا في هذا العالم التذل ، وذلك من خلال سرد العلة التي تدفعنا الى إراقة دمائنا ضد الضرورة التاريخية نفسها . إننا لن نكون أرقى من هذا العالم المنحط (وبالطبع ينبغي أن نثبت لهذا العالم المنحط أننا نفوقه ونسمو عليه ، والا فلا مسوّغ لاراقة دمائنا على هذا النحو المرير) الا يوم تصير رعشة الآلام التاريخية لحمة كتاباتنا وسداها .

ونحن في مسيس الحاجة الى كيركجور فلسطيني لكي نلجم هذا العالم المتسفل فنمنعه من اتهامنا بتهمة اللاشيئية والخواء ، تهمة الحيوانات التي تذبح ولا تشعر بمأسوية مصيرها ، ولكي نسوّغ لمؤرخ المستقبل ، بل لانسانية المستقبل جملة ، دماء شهدائنا ، الذين أراهم طراً من سلالة التراجيدين . ولن « يدرك ماأعاني الا من يدرك المعاني » ، كما قال ابن عربي في « شجرة الكون » .

وفي تقديري أن شيئاً يشبه هذه الفكرة ، فكرة انتاج النص المأسوي لتسويغ التضال المأسوي ، في عالم لايفقه لغة سوى لغة المصالح ، قد كان يدور في خاطر غسان طوال حياته . إن مؤلفات غسان ، قبل سواها ، لتسوغ للعقل المتأني أن يستقرىء مثل هذا الاستقرار . وربما وصل غسان الى فكرة مؤداها أن الشعب الفلسطيني كله شعب تراجيدي . هكذا أراد له التاريخ بحكم حتمية مجراه الحي . وما كان غسان إلا مواظبة على مطاردة التراجيدي واعتناقه .

مالتراجيديا ؟

إنها التجابه والضرورة ، تماما على عكس الحرية التي هي الركوب على ظهر الضرورة ، او التصالح وإياها .

نحن ، إذن ، شعب تراجيدي باطلاق ، لاننا لانقاوم شيئاً سوى الضرورة ، لانكافح الا ضد نزوة ضرورية حاتمة من نزوات التاريخ (قيام اسرائيل) ، نزوة أقدمت على ارتكابها قوى نارية لاقبل لنا بها في هذا الظرف المرير . تقضي الضرورة أن تولد اسرائيل ، أن تفقس بيوض السعالي فوق أرضنا المغدورة . نعم ، هذا قرار المخذته الحتمية التاريخية القاهرة ، أو الجبرية العلمية المبثوثة في قلب المجرى الحي لمسار التاريخ .

وتقضي النزعة التراجيدية أن ينهض شعب صغير فقير ضد قوى لا أعتى منها ولا أنذل . نحن ، إذن ، شعب شهيد كله .

وأحسب أن غسان مافاتته هذه المعاني قط ، بل إن كل حرف كتبه غسان ليشهد على أنه ماكان يكتب الا انبثاقاً من هذه الرعشات . وهو ، لاريب ، يدرك أن جملة شرف الفلسطينيين إنما تكمن في أنهم يتصدون ، وعلى نحو مأسوي ، لقوى تتفوق عليهم بآلاف المرات . لقد وقف هملت وحده في وجه مملكة الدنمرك بكاملها ، فكان عليه أن يجابه قوى تفوقه باطلاق . وههنا بالضبط يكمن شرف هملت ، الشهم الوحيد في مملكة النذالة .

ويقيناً ، لقد حاول غسان أن يصير فيلسوف الألم الفلسطيني وقديسه الأول . وبكل توكيد ، كان غسان يتطور في هذا الاتجاه ذلك مايمكن لقراءة متأنية سابرة أن تستجليه من آخر عمل كتبه غسان ، وهو عمل لعنوانه وحي مأسوي ، ولو من بعيد . إن « برقوق نيسان » ، وهذا هو آخر نص أدبي كتبه غسان ، أو هو من نصوصه المتأخرة ، إن هذا العنوان لايمكن أن يوحي بيسمات الطبيعة وحسب .

فشقائق النعمان هي شقائق الاله البابلي الشهير ، تموز ، الذي مزقته الخنازير البرية كما مزقت غسان نفسه هنّ دماؤه بقدر ماهن بسمات الربيع . إن العنوان نفسه يحتقب تضاداً أصلياً من شأنه أن ينطوي على الجرثوم التراجيدي الدافع بالبطل ، في الرواية أو في المسرحية ، الى مصيره التراجيدي المريع . فلا ينبغي أن يغيب عن البال ما فحواه أن التراجيدي هو تصاول الأضداد ، سداة ولحمة . بل إن للعبارة التراجيديه ، للجملة وشبه الجملة ، مساراً تراجيدياً خاصاً يتألف من تضاد يربض في تركيبة العبارة بالذات .

من أعسر الأمور وأشقها أن يؤخذ التاريخي في ذاته ليصير ، لا الحامل المطلق للتراجيدي ، كما هو الحال عند شكسبير وبعض التراجيديين اليونانيين ، بل ليكون التاريخي ، حصراً وعيناً ، التراجيدي إياه ، وليس «مشجباً يعلق عليه الموضوع » . ولهذا السبب الفادح ، لهذا العسر الأكثر ، ◄

Digitized by Birzeit University Library

ولأن غسان قد اغتيل قبيل أوج قوس العمر (وغسان هو المزود بالحساسية التراجيدية اكثر من سواه من كتاب النثر الفلسطيني حتى الآن) لم تستطع الكتابة الفلسطينية النثرية أن تبلغ الى طورها التراجيدي الناضج ، على الرغم من تراجيدية المناخ التاريخي الذي يتحرك فيه الكاتب الفلسطيني .

هذا فضلاً عن جملة أسباب أخرى لعل أهمها أن الكتابة الفلسطينية تستهدف « النوعية المباشرة » كغاية نهائية لأغراضها النضالية . وهي بذلك تجهل أن خلق الشعور التراجيدي وتعميقه هما أنبل نوعية . وأجدى غاية يمكن لشعب منكوب أن يضعهما نصب عينيه . وفي تقديري أن أية قراءة خبيرة لموروث غسان سوف تخلص الى ما فحواه أن ذلك الكاتب المخصوص بجملة من المواهب الفذة قد كان يكتب وفقاً لهذا المبدأ النبيل . وبينما يكتب الجميع انبثاقاً من الوعي وبفرض الوعي ، من الذكاء وبهدف تذكية الذكاء ، فإن النص التراجيدي لايجيء الا من الراقة الطوطمية في النفس البشرية . وهو لا يستهدف الا التسامي بالروح بحيث تشجب وتستنكر كل نذالة في هذا الكون ، وبحيث يبلغ الوجد ان البشري الى تأليه الرفعة والكرامة البشريتين . وهذا يعني أن النص التراجيدي ، في المقام الأول ، تذكية للنفس ، وليس تذكية للذكاء الذهني ، الذي هو من اختصاص الفكر . ويقيناً إن كثيراً من نصوص غسان ، ولا سيما « ماتبقى لكم » و « القبعة والنبي » والأعمى والأطرش » ، إنما كتبت ابتداء من الروح الطوطمي وبفرض السمو بالروح الى برهة النظافة .

★ ★ ★

في روايته الاولى ، « رجال في الشمس » ، نجد وجدان العار ممزوجاً بوجد ان الفجيعة . فالحقيقة ان غسان يطارده الشعور بالخزي أمام الهزيمة منذ أول حرب كتبه وحتى آخر حرف . وفي قناعتي الخاصة أن هذا الشعور بالخزي ، هذه الحساسية الحارة تجاه الذل ، هي التي أهلت غسان لانتاج أفضل نصوص النثر الأدبي الفلسطيني حتى الآن . إن عصراً ، كعصرنا الراهن ، ينتصه وجدان العار ورعشة الحياء أمام المصير ، لن يكتب أيا نص أدبي عظيم ، اللهم الا أن يكون ذلك لماماً أو على ندرة وحسب ، لأن هامش الاباق الحر ، أو إمكان الانسلاخ من الانحطاط ، وهو شيء أعطي للبشرية في كل مكان وزمان بفضل النعمة والناموس ، إن هو الا هامش ضيق ذو رقعة لاتتسع الا لما هو أقل من القليل .

وأيا ما كان جوهر الشأن ، فإن المفارقة في هذه الرواة الاستهلالية تتلخص في أن وجدان العار وحسّ الفجيعة إنما يربضان في الكاتب لافي الأبطال ، ويسيلان بالتالي من الكاتب الى القارىء من دون أي مرور بأية واحدة من الشخصيات على الاطلاق .

فالشخصيات مغمسّة بالعار ومسوقة بدافع جبرية حاتمة صوب الفجيعة ، ولكن من دون أن يبدو على أي منهم أي شعور بذلك . فبينما تقع فلسطين إلى الغرب منهم يتجهون نحو الشرق ، وبينما تراهم يحنون الى أشجار الزيتون في فلسطين فإنهم يأملون أن يلاقوا كروم الزيتون في صحاري الكويت ، وبينما هم يحتاجون الى قيادة سوية ، فإنهم يقادون برجل مجبوب ، ويملون أنه مجبوب ولا يعترضون . إنهم ، إذن ، الفارون ، اكثر مما هم « المخدوعون » . فغسان لايكذب على الواقع ، إذ كانت تلك هي حال الانسان الفلسطيني في حقبة اللجوء ، وهي الحقبة التي تفصل بين النكبة وبين الثورة . ولهذا فإن رواية «ماتبقى لكم » وهي التي كتبت بعد سنة من اطلاق الرصاصة الاولى في وجه الصهيونية ، سوف تقدم للفلسطيني صورة أخرى ، صورة المواجهة لا الفرار .

فالأبطال في هذه الرواية الأولى يناقضون البطل التراجيدي في الصميم . فالبطل التراجيدي لايسقط لأنه واهن القوى أو خائر العزيمة ، كما هو حال هؤلاء القوم ، بل حصراً لأنه يتمتع بزخم الطاقات وعرام الحساسية . وحين يسقطون بالمجان فاننا نرثي لحالهم وحسب ، بينما نحن نستمتع أيما استمتاع بسقوط البطل التراجيدي لأن سقوطه يزرع برهة السمو والنبل في أرواح المتفرجين . قد نحزن للهال الذي لم يختاروه بتاتاً ، بل قد نحزن كثيراً حتى ، وقد نشفق على أنفسنا من أن نصير الى مصيرهم الفاجع والمجاني في آن واحد ، وقد نصمم نتيجة لذلك أن نختار مصائر البطولات الرصينة الشهمة ، مادام الانسان يملك أن يختار حقاً ، ولكننا لانشعر بأي تسام حين نرقب مصيرهم النهائي نحو الكارث ، لأنهم عجزوا عن قرع جدار الخزان . إنهم يموتون اختناقاً بغير ما جمالية بتاتاً ، بينما يذهب البطل التراجيدي الى موته ، كما لو انه يذهب الى حفلة زفافه . ولقد تعمد غسان أن يكون الأمر على هذا النحو تماماً لكي يخلق الشعور بمجانية مثل هذه الميتة وعدم جدواها .

ثم إن أكبر فرق بين هؤلاء الأبطال وبين البطل التراجيدي أن هذا الأخير فاعل وفعال ، ولا يسقط الا لأنه فاعل وفعال ومزود بجرثوم الفعل الاستثنائي . أما هؤلاء القوم فلا يجيدون أية فاعلية ليست سلبية . وبينما يصارع البطل التراجيدي ضد الضرورة ، فإن غسان قد صمم أبطال هذه الرواية مفرغين من كل فاعلية لها القدرة على مواجهة الضرورة ، وذلك لكي لايكذب على الواقع الحق .

لو قفزنا عن رواية « ماتبقى لكم » الى « أم سعد » و « عائد الى حيفا » ، لوجدنا غسان في أواخر العقد السابع من القرن العشرين يكف مؤقتاً عن الكتابة انبثاقاً من رعوشه التراجيدية . فقد كتبت « عائد الى حيفا » تحت ضغط هزيمة حزيران المعروفة ، وكتبت « أم سعد » بدافع التبني للظاهرة المستجدة يومذاك ، ظاهرة انتشار المقاومة الفلسطينية وتحولها الى واقعة تاريخية راسخة . إن مثل هذه الظاهرة من شأنها أن تفرض على الكاتب اشراقة أمل ولغة واقع بدلاً من صرامة وجدان المأساة ولغة الرعش الطوطمي ، وهما الشيئان السائدان في « ماتبقى لكم » ، والعنصران اللذان كان سوف يستعيدهما في « برقوق نيسان » ، وكذلك في « الأعمى والأطرش » . وحتى في «رجال في الشمس» كان غسان يرعش، أما في « عائد الى حيفا » وكذلك في «أم سعد » ، فإن غسان يفكر . وعندي أن كاتب الأدب العظيم هو وحده الذي يرعش ، أما الآخرون جميعاً فيفكرون .

لهاتين الروايتين كلتيهما موضوعة واحدة : لاجداء في الدموع ، والجداء كله في الرصاص ، في أن يكون مروان قد التحق بالفدائيين فأنقذ شرفنا من حمأة الوحل ، في أن تنصب خيمة تقاتل بدلاً من خيمة تذل ، أو عوضاً عن خيمة اللجوء الكابية . ولهذا تشدد أم سعد ، المرأة العجوز إياها ، على أن « خيمة عن خيمة تفرق » . فما عدنا لاجئين ، لقد صرنا شعباً ، إذ الشعب قبيل من البشر تحتويه بنية سياسية وعسكرية بالدرجة الاولى . مامن فلسطيني الا إذا وجدت المؤسسة السياسية - العسكرية الفلسطينية (وبداهة ، الا إذا استمرت) ، ومن دون ذلك ليس ثمة الا لاجؤون ، بل لاجؤون يختنقون في المخيم كما اختنق ابطال الرواية الاولى داخل خزان جحيمي مغلق .

واضح تماماً أن هاتين الروايتين قد كتبتا بشيء من السرعة ، والأهم من ذلك أن اسلوبهما يمثل خطوة الى الوراء بالنسبة الى اسلوب « ماتبقى لكم » ، وهو الاسلوب الذي سوف يستعيده غسان عما قليل في «برقوق نيسان » ، وكذلك في « الأعمى والأطرش » .

ويبدو أن نارية غسان قد منعته من التفرغ للكتابة الأدبية ، وليته فعل ، إذن ، لأعطى أكثر مما أعطى وأعظم ، وربما كان قد جنب نفسه ذلك المصير الفاجع ، ولو اجتنبه لكان المردود يمناً وبركة على حركة الكتابة الفلسطينية .

لوسمح لي أن اتكلم باسم غسان ، أو أقله باسم صورة غسان التي اشتقتها من مؤلفاته - وهي بالطبع صورة معنى لاصورة رسم - لزعمت بأن غسان ماكان ليرضى عن هاتين الروايتين الا بوصفهما انتاجاً آنياً لمرحلة تتطلب مثل هذا الانتاج . يدلل على ذلك ما فحواه أن غسان قد كتب قبلهما مايبذهما ، ثم كتب بعدهما روايتين مجزوئتين ترهصان بأنه قد آب الى موقعه السابق . ففي صلب قناعتي أن غسان قد كان يطمح الى أن يُخرط في سلك الكتاب العالمين الكبار ، وأنه كان يدرك أن لاسبيل الى انجاز مثل هذا الهدف من دون الوجدان التراجيدي الأصيل .

وللحقيقة إن كلا هذين العملين قصة وليس رواية . قصة مطولة ، ليس الا . فكلاهما يقبل الاختزال والتقلص الى قصة من دون أي خلل جوهري في الشكل أو في المضمون . بينما ترفض مثل هذا الاختزال أية واحدة من الروايتين السابقتين ، أقصد « رجال في الشمس » و « ماتبقى لكم » بل على العكس تماماً ، فإن كلتا هاتين الروايتين تقبل الاندماج واحتواء المزيد من العناصر الدرامية الجوهرية التي هي في صلب الموضوع ، والتي من العناصر الدرامية الجوهرية التي هي في صلب الموضوع ، والتي من شأنها إغناء الشكل بجملة جديدة من الصور المتماهية في الصميم مع جملة المناخ هنا وهناك

* * *

عام ١٩٦٦ ، كتب غسان روايته الرائعة « ماتبقى لكم » فلقد جاء ذلك النص ، لابمثابة قفزة في موروث غسان وحسب ، بل في الموروث النثري الفلسطيني كله . وبعد هذه الرواية ببضعة أشهر فقط كتب غسان مسرحيته الموفقة « القبعة والنبي » . ههنا تماماً ، في اواسط العقد السابع من هذا القرن ، أويوم أتم عامه الثلاثين ، برهن غسان على أنه قد نضج حقاً ، لأنه دلل على انه امتلك وعي التضاد ، أو صراع النقائض ، بوضعه الطاقة الخلاقة لكل نثر أدبي عظيم .

إن وعي التضاد هو أول واكبر خطوة صوب الأدب التراجيدي . ففي « ماتبقى لكم » يتعارض الظهر والدنس باحتدام دافق ويندمجان في وحدة مصيرية متلاحمة . والرائع ههنا أن مثنوية الحراك والاسترخاء تندمج والمثنوية السابقة وتكملها بعمق : حامد نقيض زكريا ، بل نقيض مريم أيضاً ، الأم نقيض مريم ، سالم نقيض زكريا ، الأرض نقيض مريم . والطاهرون غائبون ، والحاضرون يصرون على التطهر الا زكريا الجانح الى الزوال . والتناقض حار ومتفاعل وحامل للتحولات الجذرية . ولهذا نجد الدنس

◄

Digitized by Birzeit University Library

نفسه يتحول الى القوة التي تنفيه ، وذلك تماماً عندما تقوم مريم بطعن زكريا ، رمز الرخوية والدنس والعطالة وتوقف الزمن . فالجميع زمانهم يسيل الا زكريا العاطل الوسخ نحو الأفول .

إن مريم هي حقاً رمز هذا الجدل العميق بين الدنس والطهر في داخل مضمون واحد متفاعل بعمق وبتارية حارة . وربما لم يكن اختيار هذا الاسم أمراً من قبيل الصدفة . فلئن لم يكن وعي الكاتب قد هندسه عن سابق عمد وتصميم ، فإن اللاشعور هو الذي طهاه بصمت ولغاية في نفس يعقوب .

لقد انجبت العذراء ام المسيح بغير دنس ، مع انها أنجبت بغير زواج . أما مريم الرواية فقد حملت بدنس ، مع ان زواجها شرعي ولا غبار عليه بتاتاً من وجهة النظر القانونية . ومع ذلك فقد أجهضت الجنين عن وعي وعمد ، لأنه من سلالة الرخويات ، سلالة زكريا الحامل الأقل الموقوف الزمن ، والرامز الى حقبة اللجوء المنقرضة مع اطلاق الرصاصة الاولى في وجه الصهيونية .

لقد اختلف الشأن الآن جذرياً عما كان في اولى روايات غسان . إن مريم هي اكبر ممثل ومجسّد لوجد ان العار والخجل في تاريخ الكتابة الفلسطينية كلها .

وحين استحمت مريم بالدم ، دم زوجها ونقيضها الذي لايشعر بأي عار ولا يرعش بأي خجل ، ودم جنينها المنسول من خلايا هذا العار الذي يسمى زكريا ، أو اللجوء ، فقد برهنت ، لاعلى أننا قد حررنا ارادتنا المحبوسة وكفى ، بل على أننا قد حررنا صورتنا أمام العالم كله ، أمام الصديق قبل العدو . وبهذا الاجهاض ، بهذا الحمام الدموي ، أصبحت مريم طاهرة كمريم العذراء ، بل لقد عادت من جديد الى طور البكارة السابق على الزواج وهكذا أخذت الارادة تسيل ، لأن تحرير الارادة يتطلب في البداية نقاء يشبه نقاء العذرية .

أما حامد ، الباحث عن الطهر بطريقته الخاصة ، والنازح عن بقعة دنسة متقاعسة تتمطى في الرخوية والعطالة ، فيشبه مريم في كونه جدلاً حياً مع الجندي الصهيوني الذي لاوجود له من دون حامد ، مثلما لاوجود لحامد من دونه . وهو بدوره يمثل ضرباً من السيولة وتحرير الارادة من احتباسها اللاجم . بل في الحق لايمثل حامد شيئاً بقدر مايمثل السيولة نفسها . وحين وحّده غسان في علاقة مع الأرض نفسها ، بل حين جعل من الأرض شخصية من شخصيات الرواية فقد برهن الكاتب على انه يمتلك طاقة عظيمة على صنع الرموز . اكثر من ذلك أن صورة الأرض في الرواية ، وعلاقة حامد بتلك الصورة هما صفعة في وجه الصهيونية التي أشاعت أن العرب بدو رحالون لايثبتون في أرض ولا تعنيهم الأرض . فما من صراع على الزمان الا وهو صراع على المكان في الوقت نفسه . والعكس صحيح بأطلاق .

في هذه الرواية ، النقائض لاتتواجه وحسب ، لاتتراصف بتاتاً ، بل هي قبل كل شيء تفعل وتتفاعل وتتخطى ذاتها وتمارس تحولاتها بضغط من الفاعلية والطاقة الحرارية الخلاقة . ثمة حقاً ضرب من الاحتدام الناري والدموي . وبفعل هذه النارية المتسارعة الايقاعات نجد كل شيء في الرواية يرتج ويتاوج وينبض ، حتى الأرض والسكوت يسكنهما نبض حيوي فعال ، حتى لكأن نبض الزمن ، نبض الساعة على الجدار ، هو الرمز الجوهري للصراع ، بل شكله المسموع .

والعناصر السلبية في الصراع تتشابه . فبينما يرمز زكريا إلى دنس الزمن ، دنس عصر يتقاعس عن الفعل ويؤثر عليه نوماً لايشبه إلا الخيال ، فإن الجندي الصهيوني يرمز إلى دنس الأرض ، بحيث لايلقاه حامد إلا وكأنه لطخة سوداء ألصقت على صفحة التراب . الفلسطيني الخامل والصهيوني الغاصب كلاهما لطختان في جبين الكينونة ، الأول يدنس الزمان والثاني يدنس المكان ، وماالكينونة إلا التحام الزمان بالمكان . ففي هذه الرواية يهبط الجميع باستثناء مريم وحامد ، فإنهما يصعدان بفعل وجدان العار الذي يحررهما ضغطه من كل دنس وعطالة . وبهذا يثبت أن السلب يوجب ، وأن كل صعود هو صعود من الأسفل إلى الأعلى .

ثم إن انتصار كل من طرفي الصعود ، مريم وحامد ، مرهون بانتصار الطرف الآخر . فانتصار مريم على زكريا ، أو عطالة الزمن ، مشروع باحتدام العراك بين حامد وبين الجندي الصهيوني ، مثلما أن انتصار حامد على الجندي مشروط بانتصار مريم على زكريا . ولهذا تشعر مريم صراحة ساعة نصرها بأن شيئاً ما قد حدث لحامد عند ذاك .

ومع أن كل شيء يمشي فوق مسار يوحي بأن سقوطاً تراجيدياً ما سوف يحدث فإن الرواية تنتهي بينما يتقابل حامد والجندي الصهيوني في صحراء النقب ، بعدما تمكن حامد من انتزاع سلاح الجندي وشده بوثاق محكم ، وبينما راحت محركات الدبابات الصهيونية تهدر في الجوار القريب ، وربما على مرمى النظر وحسب . ههنا تنتهي الرواية وكل من النقيضين ينظر إلى خصمه شزراً . فالصراع مفتوح ، والنقائض لاينفك أحدهما عن الآخر بتاتاً .

ماذا يمكن أن يحدث لو أن غسان لم يتوقف عن السرد عند هذه البرهة المحيّرة التي لاتكذب على الواقع ؟ لقد خرج حامد يبحث عن الأم ، رمز النقاء في عالم مدنس ، خرج من زمان مدنس ، ولكن دربه إلى النقي لاعهد لها عن اختراق مكان مدنس . إن هذا البحث عن النقاء عبر الدنس هو أكبر عنصر بين عناصر التراجيديا النموذجية . ولو تقدم حامد مسيرة بضع دقائق لواجه حتفه ، ولوقعنا في السقطة التراجيدية . بيد أن مثل هذه الخاتمة تعاكس الواقع الفلسطيني الناهض عام ١٩٦٦ . ولهذا ينبغي لجم السرد عند برهة تسبق السقوط التراجيدي مباشرة . وذلك هو بالضبط مافعله غسان .

ثمة ضرب من التشابه بين هذه النهاية ونهاية «رجال في الشمس» . فكما ينتهي أولئك الرجال محاصرين في خزان ينتهي حامد محاصراً بين مدرعات الصهاينة . وكذلك تنتهي مسرحية «الباب» وقد كتبها غسان عام ١٩٦٤ ، أي قبل «ماتبقى لكم بعامين ، وبعد رجال في الشمس» بعام أو عامين ، تنتهي وقد حوصر بطلها في غرفة صغيرة يتغلق عليه بابها ليواجه مصيره النهائي . ويبدو لي أن صورة التغلق والحصار في أدب غسان تحتاج إلى دراسة خاصة .

في «القبعة والنبي» (نيسان ١٩٦٧) ، بل في المسرحيات الثلاث التي يحتويها المجلد الثالث من الأعمال الكاملة ، نجد غسان يتمحور حول موضوعة التضاد ، أو تواجه النقائض . وفي المسرحيات الثلاث تسود مثنوية كلية واحدة ، إنها مثنوية الحياة والموت . وفي الحق أن غسان في معظم ماكتب تراه دوماً يتهجس للموت ودوماً ينافح عن رعشة الحياة . بيد أنه لايكف عن صدم الحياة بالموت في تواجه مرير ، أو قل إنه لايكف عن التنقيب عن الموت في قلب الحياة نفسها ، حتى لكأن سؤاله الدائم هو هذا : أحياة تلك التي نحيا أم موت نموه بقشرة حياة ؟ وإن هذا التنقيب لايظهر في أي عمل من أعمال غسان مثلما يظهر في «القبعة والنبي» ، بحيث تكاد هذه المسرحية أن تكون تنفيذاً لكلمة سقراط الشهيرة : «إن حياة لاتفحص لهي حياة لاتستحق أن تعاش» . والذي يود غسان اكتشافه عبر هذا التفحص هو أن معظم الأحياء أموات في الحياة ، أو جثث تتحرك .

ههنا يكشف النقاب عمن يحيا الحياة وعمن يموت الحياة . فالشيء ، وهو بطل من أبطال المسرحية ، لايتألم ولايموت ، ولهذا فإن المتهم يتهمه بأنه تعيس ، وبأن قومه تعساء ، مادامو لايعرفون الألم ولا الموت ، إذ لايعرف السعادة إلا من يعرف الألم ويرعش تجاه الموت .

أما القاضيان فميتان كذلك . وهما ضيقا المساحة مركوسان في المحدودية على نحوم الصفر . فهما لايعرفان «تلك الغيبوبة الراجفة كيف تهطل في العروق» ، وهما يجهلان «لحظة الذروة في اللذة ، لأنها مزيج من الألم والسعادة» . ثم «الأطفال . . . أنت لاتعرف هذه السعادة أيضاً ، فكيف تريد أن تفاهم ؟» لامراء في أنه شبه ميت ذاك الذي لايعرف الذرى أكانت ذرى اللذة أم ذرى الألم .

أهم مافي أمر هذه المسرحيات أنها لايمكن بتاتاً أن تحشر في زمرة الأدب التراجيدي ، بيد أن الأولى والثانية بوجه خاص ، أقصد «الباب» و «القبعة والنبي» ، تختزنان الكثير من العناصر التراجيدية . فبطل «الباب» يوشك أن يكون بطلاً تراجيدياً ، بالخاتمة وحسب ، بل كذلك في هذا التحدي الجبار لقوة الضرورة ، ممثلة بالوثن «هيا» . ثم كن تفحص الحياة في «القبعة والنبي» هو ضرب من التراجيدية ، أو عنصر بارز من عناصرها ، وهل سقط أوديب أو هملت إلا لأنهما ينقبان عن الحقيقة في مظانها المستورة ؟

ثم ماذا عن اللغة ؟

تختلف «ماتبقى لكم» عن «رجال في الشمس» اختلافاً ماهوياً ، فشخصيات «رجال في الشمس» أخذت من واقع مباشر ، فوري ويومي . واقع تتحكم به مثنوية الخبث والسذاجة ، مثنوية ياجو وعطيل ، إلى حد ما ، ولكن ليس تماماً . لهذا ، كان لابد من أن ينعكس طبع الموضوع على طبع اللغة . فاللغة في «رجال في الشمس» لغة المغبونين التي لاتنم عن كبرياء الأعماق وعظمة العالم الجواني . إنها لغة نهارية بسيطة وهينة كالموسيقى الشعبية . فالمناخ برمته مناخ يوم صاف ، لاإعصار فيه ولاصواعق . فحتى موت الضحايا يتم بصمت ، يتم دونما أية دقة على أي شيء . والفكرة برمتها بسيطة لاتتعدى إصدار الادانة على المغبونين وهذه البساطة في الفكرة قد تحكمت باللغة فبسطتها .

ويختلف الأمر جذرياً في «ماتبقى لكم» ، فالأبطال ذكريات ، أو حتى رعشات ، فهم ينبعون من البعيد والعميق . إنهم مشاعر جوانية ورموز نفسانية أكثر مما هم وقائع أو كائنات عيانية فعلية تعاش وتمارس في صلب المعاش . ولهذا ، أو حصراً بسبب من رمزية المناخ العام للرواية ، كانت اللغة لغة رعش تتسلح بالروح الاسطوري ، أو بمذاق الليل ، وتندلق أو تتفور من النائي والعميق ، من قصاء الذكريات التي غادرت إلى الأبد . وبسبب من هذه الليلية استطاعت اللغة أن تستحضر مناخاً يشبه أن يكون مناخ الأفياء الزوبعية المأهولة بنوع من همس ينبجس من اللامكان ، لالشيء إلا لأنه يجيء من روح أسطوري يرفض التشكل ، ولكنه لايرفض تزويد اللغة بدسمها النفيس ، فجعل دوره معاونة الأشكال على طهو مذاقها الخاص ، حتى لكأنه الملح الصانع لنكهة الوليمة كلها .

إن دراسة لغوية ما لهذه الرواية الموفقة ، أعني «ماتبقى لكم» ، سوف تمتلك أن تكتشف ينابيعها الاسطورية الرمزية الراعشة ، والأهم من ذلك أنها تمتلك ـ عبر تأويل الرموز واسبارفحاويها المستورية العميقة ـ أن تكشف عن الروح الفلسطيني في صمته ، أو قاعه السري المتغور في الظلمات ، وبالتالي قد تتمكن طاقة الحدس الماسية أن تتعرف على المصير الفلسطيني نفسه من خلال نص أدبي كاشف . وإنني بالضبط أعني ماأقول . فكما يمكن أن تعتبر رواية «الأخوة كارامازوف» رواية روسيا ، والتعبير الأمثل عن صوامت الروح الروسي وفحاويه الضبابية والرعشية ، كذلك يمكن أن تعتبر «ماتبقى لكم» رواية فلسطين ، والاستحضار الرمزي الأرقى (حتى الآن) لروح الفلسطينيين أو نسريرة النمط الفلسطيني .

فاللغة في هذه الرواية ، وكذلك الأشياء ، كثافات تطهو النفس أسرارها داخل ثناياها . واللغة عالم محموم يشبه البحران ، وينطوي على مكظومات لاتشف إلا عن يأسها ، على الرغم من أن الشخصيات تمارس الفعل ورد الفعل . فليس صدفة أن الجميع يتحركون في مساحة الحصار ، وحتى حامد الذي اتخذ قرار الذهاب إلى البعيد سرعان مايرتطم بجدران الحصار . ولو تحرك بضع خطوات أخرى لسقط في الهاوية التراجيدية .

الشيء الذي اجتنبه غسان عن سابق عمد وتصميم لكي لايؤيد اليأس . فلقد آثر أن يحبس بطله على هذا النحو لكي لايبخر مساحة الانتظار الشديدة الضيق .

ثمة دوماً ، في القول ، وفي كل شيء على الاطلاق ، أمر مسكوت عنه ، أمر أحيل (أو أحاله الجميع بمواطأة صامتة تنجزها السرائر) على الصمت عن سابق عمد وتصميم ، ربما عن وعي ، وربما عن غير وعي . وإن من أهم وظائف التفكير أن يميط اللثام عن الماهو مسكوت عنه بتدبير مسبق ، ثم اكتشاف العلة التي أدت باللحظة إلى التكتم عن الماهو مسكوت عنه ، أو التية التي أنجبت بالسكوت ، أو بالتحفظ المموه ، وتلكم واحدة من أجل وظائف النقد الأدبي ، لأن النقد الأدبي معني كلياً باكتشاف مصبات الحنين .

* * *

والآن ، لعل من الواضح أن غسان قد كان يتطور تدريجياً صوب برهة تنتج النص التراجيدي ، ولكن موته المبكر ، وكذلك عدم تفرغه للكتابة الأدبية ، قد منعته من البلوغ إلى ذلك الطور اللازم لاعطاء النثر الفلسطيني سمة العالمية ، أو الانتشار في الأقاليم والعصور . وأياً ماكان جوهر الأمر ، فإن مؤلفات غسان محظوظة بالعناصر التراجيدية الأصيلة القادرة على ملامسة الكونية .

والحقيقة أن مهمة الكاتب الفلسطيني في هذا المضمار النازع إلى الاندراج في السياق العالمي للأدب هي مهمة شديدة العسر والمشقة . فبينما يتبع النص التراجيدي من حاضر أبدي ، حاضر كان ويكون وسوف يكون ، إذ الكاتب التراجيدي حليف الأوجاع الأزلية ، فإن النص الفلسطيني مجبور على أن يتبع من ماض حاضر ، ماض يحضر على الدوام حتى لكأنه البارحة التي لاتبارح . وثمة فرق مهيب بين ماض يحضر وبين حاضر يترمد ، اذ الأول نسي والثاني مطلق . فخلاصة مهمة الكاتب الفلسطيني أن يجعل مايخص شعبنا بعينه شيئاً يخص البشرية جمعاء ، أي أن على الفلسطينيين أن يفلسفوا العالم ، أو أن يجيلوا النسبي إلى مطلق ، وذلكم شيء يشبه استحلاب المستحيل في هذا الزمن الجاثف . وعلى أية حال ، فإن مثل هذا الأمر يصمد له الأساطين ، أو دهاقنة الكتابة الكبار .

والمفارقة ههنا تتلخص في أننا نحيا في زمن بغير كبرياء ، بل حتى في زمن لايطمح في العظمة ولايشتهيها . وحين يكف الزمان عن اشتهاء الكبرياء ، عن التوحم على الماجد والخالد ، فإن ولادة أي نص أدبي يستحق الاندراج في المساق العالمي للأدب ، سوف يكون ضرباً من المستحيل ، لأن كل ولادة مشروطة بوحام يسبقها ويمهد لمجيئها الحي .

مامن كاتب إلا وهو يكتب ابتداء من إرادة عصره ومن طموحات دائرته التاريخية . ولقد كتب غسان في زمن عربي طموحه أن يمزق اسرائيل إرباً إرباً وأن يقذف بأشلائها في وجه الغرب .

أما اليوم فإن كُوَيْتَ عصرنا يتنفس في مناخات معسكر داود ، ويتغذى بمعطيات زمن لايشتهي العظمة ولايشجع عليها ، أية عظمة ، مهما يك صنفها . أما على مستوى الكتابة ، فإن عصرنا لايطمح بأكثر من النص الصحفي السريع الصغير الذي لايتعدى حجم السندويشة ، أو علبة البيرة ، أو المنزل المبسق الصنع . إنه زمن التعليب ، أو تقليص الأشياء إلى حجوم العلب . أما النصوص المدسومة والكونية المساحة فلاتهم عصرنا من قريب أو من بعيد .

وعلى أية حال ، فلئن لم تخرج الكتابة الفلسطينية من طور التقلص هذا ، فإن الفلسطينيين سوف لن يملكوا شكسبيرهم الخاص في أي يوم من الأيام ■

Digitized by Birzeit University Library

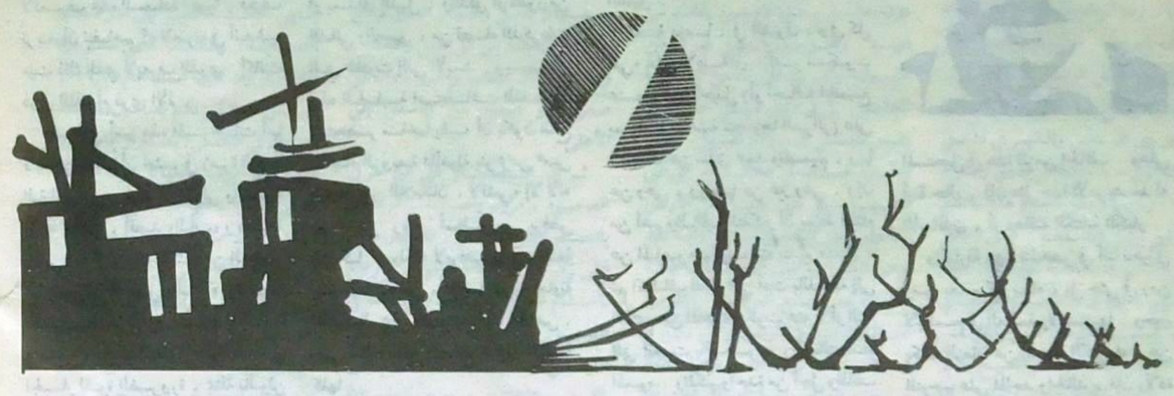

مواجهة الذات في قصص غسان كنفاني القصيرة

د . محمود موعد

استطاع غسان كنفاني منذ بداياته الأولى المبكرة أن يقفز بالموضوع الفلسطيني في القصة القصيرة إلى التضج سواء في الرؤية أو الشكل الفني ، متجاوزاً في ذلك العاطفية المبالغ فيها ، والشكل الفني المترهل في القصص القصيرة التي عالجت الموضوع الفلسطيني حتى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات (١) . وانتقل من معالجة القضية في شكلها السياسي الفج ، أو آثارها المؤسية ـ كما كان سائداً ـ إلى معالجة انسان القضية ، وابراز التفاعل بين الذات والموضوع ، بين الانسان والعالم الخارجي الذي يتحرك فيه .

ويمكن لمن يبحث في العلاقة بين الفن والمجتمع أن يلاحظ أن أعمال غسان كنفاني استطاعت أن تعكس بأمانة حركة المجتمع العربي الفلسطيني ، لأنه أصاخ إلى نبض الواقع الحي ووعاه دون أن تضلله عنه أوهام أيديولوجية أو سواها .

وقد عبر الوجود الفلسطيني عن منفاه ، أو عن وجوده المنفي ، عبر أشكال من التعبير تعكس أشكال هذا الوجود وتطوره منذ النكبة وحتى اليوم . ويمكن أن نميز في هذا التعبير لحظتين أساسيتين أولاهما : لحظة البحث عن الذات ، وثانيهما : لحظة اكتشاف الذات . ولا يوجد بين اللحظتين انفصال أو انقطاع كامل ، فهناك ارتباط جدلي بينهما ، فنمو اللحظة الأولى وتطورها ووعيها الواقع ، ثم تمردها على هذا الواقع المليء بالبؤس والاضطهاد والضياع ، هو الذي ولّد اللحظة الثانية ـ لذلك لا يمكن تجزيء مسار الفلسطيني إلى لحظة ساكنة سلبية ، وإلى لحظة أخرى ديناميكية نشطة ، فحياته في منفاه ، في الوطن وخارجه ، كلّ ينمو ويتطور حسب سمات الشرط التاريخي .

هناك ، إذاً ، جدل فلسطيني والواقع المعاش ، فالواقع يتجلى كأداة اضطهاد ، كنزع لانسانية الفلسطيني وتحطيم له . وهناك من ناحية ثانية الفلسطيني كإنسان ، كذات . ويحكم الصراع علاقة الفلسطيني بالواقع ، كل منهما يحاول ترويض الآخر لحلال عملية مشروطة بالظروف الموضوعية .

في البداية كان الفلسطيني مقهوراً صامتاً وليس ساكناً ، ثم بدأ يتحرك ليصل بعد ذلك إلى طموح يهدف إلى إعادة صياغة الواقع تسمح له بتملك ذاته كإنسان ، كي يبدأ حركته في اتجاه وطنه واستعادة أرضه ، أي لحظة التمرد على واقعه ، ورفض شرطه كلاجيء .

لكن الانتقال من اللحظة الأولى إلى اللحظة الثانية لم يكن انتقالاً مباشراً أو فجائياً ، وإنما هناك لحظة التوسط ، أي الفترة الزمنية التي عاشها الفلسطيني وجعلته يعي بشكل جزئي واقعه السيء ، وضرورة تجاوزه . وهذا يعني أن ممارسته لبؤسه هي التي دفعته إلى فعله الثوري . فالمنفى والتشرد والمخيم والبؤس والقمع ، كل هذا جعله ، تدريجياً ، يعي ماضيه وحاضره ، ثم يناضل ليرسم ، من جديد ، مستقبله .

وسنوات المنفى الطويلة أوصلت الفلسطيني إلى التخلص شيئاً فشيئاً من أوهامه . فبدأ يرى التاريخ بوضوح يتناسب مع شرطه الذاتي والموضوعي ، وأدرك أن الماضي ليس قدراً حتمياً ، والحاضر ليس أزلياً باقياً ، والمستقبل يأخذ شكله من خلال النضال في الحاضر .

هناك إذاً لحظة البحث عن الذات ولحظة اكتشاف الذات ولحظة التوسط بينهما (٢) .

ويمكن أن نجد في اللحظة الأولى (البحث عن الذات) صورتين مختلفتين وإن كان بينهما نوع من التداخل والتشابك : صورة المواجهة مع الذات وفيها يطغى عنصر الماضي ويصبح هو العنصر الفاعل (مرحلة ماقبل النكبة) .

والصورة الثانية المواجهة مع الواقع ويبرز فيها دور الحاضر (مرحلة المنفى) .

وسأحاول في المقالة هذه والمقالة التالية الوقوف عند الصورة الأولى أعني : المواجهة مع الذات ، بل عند جانب واحد منها ، وذلك على ضوء القصص الثلاث الأولى من مجموعة غسان كنفاني القصصية الأولى «موت سرير رقم ١٢» والتي ظهرت عام ١٩٦١ .

تشكل هذه القصص الثلاث (البومة في غرفة بعيدة ـ شيء لا يذهب ـ منتصف أيار) وحدة موضوعية وبنيوية وإن اختلفت التفصيلات ، إذ تطرح جميعاً بشكل مباشر الموضوع الفلسطيني عبر رحلة في النفس والزمن الماضي ، انطلاقاً من لحظة حاضرة ، وتنتهي هذه الرحلة ـ المرآة إلى حالة من الوعي : وعي الذات ووعي الموضوع .

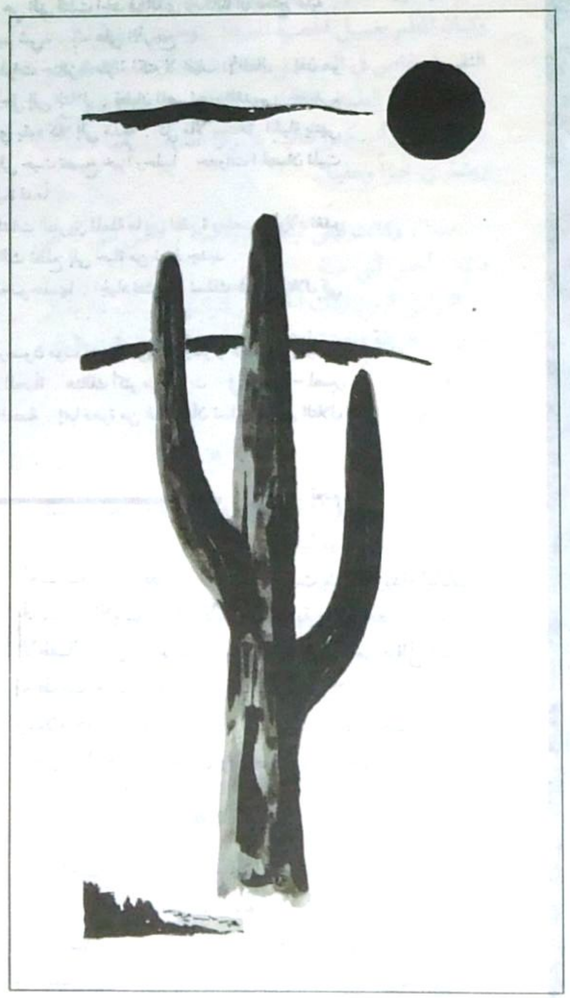

في قصة «البومة في غرفة بعيدة» (٣) لقاء بين بطل القصة وصورة في مجلة نجحت «في اصطياد النظرة الحقيقية للبومة المختبئة في ظلمة ليل بلا قمر» (ص ٤٣) . وتقوم البومة في هذه الصورة بدور المرآة التي تقوده من غرفته البعيدة عبر ضباب الذكريات إلى الماضي لتصوير البطولة والموت لقرية فلسطينية تقاوم الاحتلال الصهيوني أيام النكبة ، ولقاء البطل ببومة حقيقية لها النظرة الغاضبة نفسها وهو يحاول دفن قنابل في أرض الحديقة قبيل الرحيل .

وتقف البومة (في الصورة وفي الواقع الماضي) موضحة بنظرتها الغاضبة عن «ذلك التحدي الباسل ، الخائف بعض الشيء ، ولمن الصامد لضغط لحظة اختيار واحدة بين الفرار والموت» (ص ٥٢) ومحذرة من الجبن والتخلي عن الأرض .

وفي قصة «شيء لا يذهب» (٤) رحلة لبطلها الى ايران لوضع باقة ورد على قبر عمر الخيام ورحلة أخرى في النفس والماضي تنطلق من ديوان هذا الشاعر الذي أهدته للبطل الفتاة التي أحبته . وكانت في سبيل وطنها «تقوم بعمليات نسف يعجز عن تصورها رجل متوسط الشجاعة» (ص ٦٠) . وحين اعتقلها الجنود من الصهاينة أعلنت لحبيبها : «لقد ضاجعوني طوال تسعة أيام» (ص ٦٣) .

ولقد قالت لجيرانها «إنها فقدت كل شيء ولا تريد أن تفقد ماضيها الجميل في حيفا الجميلة . . تريد أن يبقى لها شيء لا يذهب . .» (ص ٦٦) ولذلك تستمر في الدفاع عن حيفا .

أما هو فقد تخلى عنها وعن حيفا قبل سقوطها في يد اليهود . ويكتشف عبر هاتين الرحلتين النتيجة التالية «وأشعر اليوم أنني لم أكن أستحق ليلى مطلقاً . . بل لم أكن أستحق حيفا نفسها» (ص ٦٦) وأن ما يفعله الآن شيء تافه : «باقة ورد على ضريح انسان ميت شيء يذهب . لقد قالت لهم : إنها تريد أن يبقى كل شيء لا يذهب .

أما قصة «منتصف أيار» (٥) فهي رسالة يكتبها البطل إلى صديقه الذي استشهد في عملية ضد اليهود الغزاة وجبن عن انقاذه في اللحظة المناسبة .

وكان قد عاهده قبل أن يموت على أن يحمل إلى قبره في كل أيار باقة حنون . والآن «لقد مر اثنا عشر عاماً على ذلك . اليوم . . وأنا ملاحق من عاري . . كل أيار يثقل صدري ككابوس لا يرحم» (ص ٧٨) . ولماذا أتراه يكتب إلى صديقه الآن ؟ ولماذا لا يلزم الصمت ؟ ويجيب : «كلا . . إنني لا أستطيع . . الايام تمر وأنت تغور في الرمل . وأخشى أن أنساك . . إني لا أريد أن أنسى ، رغم كل العذاب الذي يحمله التذكر . . فقد يستطيع هذا العذاب أن يجعلني أحس يوماً بمدى ماهو ضروري أن أعود إلى قبرك فأثر فوقه بعض أزهار الحنون» (ص ٧٨ ـ ٧٩) .

ويكتشف الآن «كم هو ضروري أن يموت بعض الناس من أجل أن يعيش البعض الآخر . . إنها حكمة قديمة أهم مافيها الآن أنني أعيشها» (ص٧٩) .

أردت بهذا التلخيص ، الذي لا يمكن بأية حال أن يغني عن النص ، أن أضع أمام القارىء الخط العام لكل قصة من القصص الثلاث لأنتقل بعد ذلك إلى الدراسة والتحليل والتقاط الدلالات التي يمنحنا إياها النص .

«يتبع»

---

(١) انظر : الخطيب ، د . حسام ملامح في الأدب والثقافة واللغة . فصل خاص عن « الموضوع الفلسطيني في القصة السورية » وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٧ .

(٢) وجدت الاطالة ضرورية في هذا المجال كمدخل لفهم اعمال غسان كنفاني

(٣) كتبت عام ١٩٥٩

٤ ـ كتبت في عام ١٩٥٨

٥ ـ كتبت عام ١٩٦٠

Digitized by Birzeit University Library

الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني

الخيل والمقبرة والتلال

بقلم : غسان كنفاني

هاهنا قصة لم تنشر في الأعمال الكاملة لغسان كنفاني ويبدو أن اقتصار الأعمال الكاملة على نشر ماجمع أصلاً في كتب كان أحد الأسباب وراء هذا الاهمال . فهي قصة نشرت في أحد أعداد مجلة المجلة المصرية عام ١٩٧٠ كرس للقصة العربية واحتوى نماذج قصصية لأهم الكتاب العرب .

ما أن نقتحم قصة الخيل والمقبرة والتلال حتى نفاجأ بالموت . إنه الجد يموت بشكل جاف لا يدع مجالاً لعاطفتنا أن تتحرك . الحياة ورمزها ها هنا الغصن هي التي قتلت الجد فما الذي بإمكاننا أن نحتج عليه .

هل كان المقصود بذلك موت جيل لم يعد بإمكانه تقديم شيء ، إنه على الأرجح .

نقاد إلى المقبرة وهناك نصادف الحصان يجر الموتى بخطوات جنائزية متزنة لكنه لا يخيف الأطفال . إذن هو ليس كالجد عديم النفع . إن أمامه الحياة شريطة أن يرحل إلى التلال . قطبان للصراع . القديم والجديد . جيل انتهى وآخر بانتظار العطاء . وبينهما الحصان الذي يقود كلاً إلى هدفه . كل مالا يستحق الحياة ينتهي سريعاً في هذه القصة . الجد إلى القبر . عظام الميت إلى حيث تصبح خبزاً وحلياً . حدوات الحصان الميت إلى حيث تصبح طوقاً لعجلة خشبية جديدة تدفع الحياة قدماً .

إن استخدام التلال كرمز يوحي بوجود الركون والثبات الطريق المملة ما بين المقبرة وملعب الأولاد تغدو المستنقع الذي تنتصب التلال البعيدة كبديل عنه . هنالك تطلع إلى حياة من نمط جديد .

ليلى تنتظر طيران الأرجوحة لتحلق وتختفي بعيداً نحو حلمها . الجياد تعتزم أن تسلك طريق التلال كي تمارس حقها في إنجاب الأمهار . .

وهكذا ينكسر الروتين ، ولا يبقى أمام الذين يمارسون موتاً قديماً سوى أن يحفروا لأنفسهم ويجلسوا بانتظاره ، لأن الاستمرار يتطلب معادلات جديدة للحياة . هنالك أكثر من صوت - في القصة - لمصير واحد . هنالك أكثر من مستوى لغوي وذهني لقراءة القصة . إنها دعوة من غسان بأن نسلك طريق التلال كي لا نسقط في موتنا الروتيني .

ا . س . نجم

قال الطبيب لجدي : تحتاج الى رياضة كي تعيش ، قال جدي : عجوز ورياضة ؟

- هذه هي الطريقة الوحيدة لتعيش ، أركب الخيل مثلاً .

- لقد ركبت الخيل كل عمري ، وكففت عن ذلك منذ شهرين فقط .

- عد الى ركوب الخيل ، إذا أردت أن تعيش .

في صباح اليوم التالي ركب جدي حصاناً جمح به فقصف غصن واطىء عنقه .

o o

الجياد جرت عربة الموت الى المقبرة وسرنا خلفها . سائق العربة رجل قصير له زوجة وست بنات ورداء ليلكي لحصانه الأسود . في الأيام العادية يؤجر حصانه لحديقة الاطفال . في أيام الموت يسوق الحصان العربة الى المقبرة بخطوات جنائزية متزنة تدرب عليها طويلاً .

وكلاء حديقة الاطفال يحبون الحصان : لأن خطواته متزنة ورصينه لا تخيف الاطفال ولا تعرضهم للخطر .

o o

صاحب الحصان تزوج أرملة جثة ساقها الى المقبرة . جاءته في الصباح سوداء ، وتحدثا عن الجنازة وعرف أنه سيتزوجها ذات يوم . في الموكب راقبها من فوق وكانت الجثة في الصندوق المحكم الاغلاق وراءه . حين أصلح العجلة الخشبية وضع الحداد طوق الحديد المجمر حولها ثم صب الماء البارد فوقه فاطبق الطوق صلبا حول العجلة الخشبية ، واعتصرها ولم يعد من الممكن فكها . وكانت تنظر اليه من تحت وتعجب به في خجل . في الصباح شاهدت الموظف يلف أوراق رجلها الميت كاسطوانة ويحكم ربطها بالمطاط ويضعها في الخزانة . انتهى كل شيء . اعتصر المطاط الاسطوانة .

مهر ، حصان وفرس ، مهر آخر .

حصانه القديم مات . أخذوا حدوات حوافره ، لم تكن دوائر مغلقة . حدوات مبراة لا تصلح . صهروها وصبوا منها منها طوقاً جديداً لعجلة خشبية جديدة .

o o

مشينا وراء العربة . كان القبار رجلاً أعمى .

وكان المطر يغسل الحفرة المعدة . وحين اسقطوا النعش الثقيل غاص في الوحل وقال الدفان : « لا عليكم ، سيخرج من الطرف الآخر » . كان سور المقبرة مزروعاً بالزجاج . أمسكوا طالباً يسرق عظاماً يبيعها لأساتذته ويشتري خبزاً وحلياً .

عدنا ، وكانت ليلى تبكي ، وقالت : أحس أنني أنا التي مت . أحس أنني ميتة .

اتركيني أزرع فيك الحياة . اتركيني اضمك عارية الى عربي . طريقة وحيدة لتشعري رعشة الحياة ، أنت الميتة ، اتركيني .

وتركتني .

o o

وكان عندي عربة وحصان وزوجة ، وسيصير عندي زوجة أخرى ، اسمها ليلى .

مهر . حصان وفرس ، مهر آخر .

ولم أكن أعرف أن ليلى جاسوسة ، قتلت زوجها لادفنه ، وتحبني ، وأحبها ، وأتزوجها ، وتتجسس علي .

وأخذتها الى بيتي .

o o

أنني قبار : أزوج الأرض جثث الرجال وأتزوج أراملهم . واكتشفت ليلى الحقيقة كلها ، فأنا أرى الموت ، فقط ، وسيلة للحياة . آراه مهراً ، وذلك كان كل ما أرادته ، وحين عرفته أحبتني حقاً .

ويوماً أخذتها الى حديقة الاطفال . وكان الحصان ينقل حوافره برصانة العجوز فاقد الذاكرة . من وراء ظهور الاطفال وضعتها خلسة على الارجوحة وأخذت أدفعها وهي تضحك . الى فوق ، قالت . أكثر الى فوق وضحكت . أكثر . فوق . ضحكت . أكثر . أكثر أكثر .

ثم صعدت ، وانتظرتها . لم تعد .

o o

وجن جنون الحصان فأخذ يدوس على الأرض ويضربها بقسوة . وخشيت أن يقتل الاطفال الا أنني تذكرت أن الاطفال لا يموتون ، فصرفت النظر عنه ، وأخذت أنتظر أن تعود ليلى على الارجوحة . ولكنها لم تعد .

o o

لم تعد ليلى .

وهرب الحصان وأخذ يجمح مثل العلم على التلال المحيطة بملعب الأولاد ، وقال لي بصهيل مثل احتكاك سيفين : الطريق بين المقبرة وملعب الأولاد ، بين ملعب الأولاد والمقبرة صارت مملة ، ولقد اعتزمت أن أسلك ، بين الملعب والمقبرة ، طريق التلال . هناك القى الفرس ، وهناك تنجب المهور .

واختفى الاطفال .

عدت ماشياً الى البيت .

o o

الحصان الذي جمح بجدي وقتله هرب هو الآخر الى التلال .

وكذلك حصان القبار .

اهترأت العربة التي تنقل الموتى ، وأكل السوس عجلاتها .

لم يبق منها الا أطواق الحديد التي كانت مثبات من حدوات الحوافر المبرية .

وذات يوم جاء رجل من التلال ، على حصان بلا سرج ، وأخذ أطواق الحديد الباقية ، وصهروها حدوات حوافر خيول من جديد .

لم يعد ثمة من يدفن الموتى ، وصاروا - قبل أن يموتوا - يحفرون حفراً تتسع لأجسامهم ويسقطون أنفسهم بها ، غالباً على التلال .

o o

مهر . حصان وفرس . مهر آخر .

حدوة ، عجلة ، حدوة أخرى .

طفل ، رجل ، رجل آخر .

تلال .

تلال .

تلال .

■

Digitized by Birzeit University Library

قدرة غسان على التقاط الخفي في هذا الهم الجماهيري ، من خلال النهائية الروائية ـ التساؤل : لماذا لم يدقوا جدران الخزان ؟» وانعدام المنطق في هذه النهائية كون هذا التساؤل جاء على لسان (ابو الخيزران) الذي قادهم للموت . يبدو تساؤله هذا نوعاً من العزاء النفسي له شخصياً ، ومثيرا للهم الجماهيري لدى المجموع . لان التساؤل يقول للمجموع : لماذا تقبلون الموت بسكوت وبدون مواجهة ؟ مادام الموت هو المحدق بكم ، فلماذا تحجمون عن المواجهة ؟ مادام الموت هو المحدق بالمرء ، يصبح من العبث استقبالة دون حركة أو صراخ أو احتجاج أو مواجهة ، فإما النجاح في ذلك أو الموت بشرف وكرامة . هنا الهم الجماهيري الفلسطيني الحقيقي ، وتساؤل غسان على لسان أبي الخيزران ، يعري مرحلة السكوت التي عاشها الفلسطيني أنذاك ، يستقبل الموت قانعاً ، وكأنه قدره الذي لامفر منه .

■ماتبقى لكم (١٩٦٦)

تساؤل غسان السابق عام ١٩٦٣ ، كان منطقيا يواكب طبيعة المرحلة التي عاشها الفلسطيني . وفي عام ١٩٦٦ ، يتبلور الهم الجماهيري الى فعل ممارس ، فقد كف الفلسطينيون عن استقبال الموت بقناعة وسكون ، وبدأت الطلائع الحزبية الثورية تصارع العدو وتواجهه في حدود إمكانياتها المتواضعة ، لذلك فإن رواية (ماتبقى لكم) ، تبدأ من حيث انتهت (رجال في الشمس) ، أو أنها جاءت تحمل الجواب على التساؤل السابق : لماذا لم تدقوا جدران الخزان ؟ . في هذه الرواية الخطوة الاولى نحو ذلك ، حيث الهروب بالاتجاه الصحيح نحو الام ـ الارض ، يحمل صاحبه على مواجهة العدو بعد ان كان محاطا بالخسائر من كل الجهات ، وبعد ان اصبح بامكانه ان يفوت على خصمه ان يجعله ريحا يضاف الى مايسق ان حققه . هنا بداية الفعل الفلسطيني المدفوع بحافز الهم الجماهيري الكامن في الوجدان . ورغم ان هذا الفعل كان مايزال على مستوى فردي ، الا انه كان بداية ضرورية للحلول في البحر الجماهيري . كي يولد الفعل الشعبي ، كان لابد من البداية الطليعية . وكي يولد (حامد) ، كان لابد من قتل زكريا رمزاً للتخاذل والاستسلام والخيانة . حامد في غزة محاط من كل جهة بحساب كله خسائر . أمه بعيدة عنه في الاردن . وأخته مريم حملته عاراً كبيرا بحملها سفاحا من الخائن زكريا من الفضيحة . زكريا هذا يمثل لدى حامد (مجرد لطخة مصادفة في مكان غير مناسب) (٤) .

انه التنن الذي خان قضيته بوشايته على (سالم) قائد المقاومة عام ١٩٥٦ عند دخول اليهود قطاع غزة ، حيث سقط سالم برصاصهم وعيون الجميع تتجه نحو زكريا تتهمه بالخيانة . قسوة هذه المواقف على نفسية حامد ، تجعله يقرر الهروب ابتعادا عن جو الخيانة الذي يحيط به من ناحية : زكريا بخيانته لسالم ومريم بخيانتها لشرفها مع خائن باع القضية بخيانته لسالم وتسليمه للعدو . ان اصرار حامد على الخلاص من الماضي يضعه أمام الخطوة الاولى نحو الفعل . وبعكس شخوص (رجال في الشمس) فهو لايفر نحو الاتجاه الخاطىء ـ وذلك للخلاف في همومها الفردية انما نحو أمه ـ الارض ، وهنا تصبح الصحراء على عكس ماكانت عليه في (رجال في الشمس)) . هنا تصبح كائنا حيا تتمدد وتتنفس وتمتلىء بالحيوية والحركة ، تتضامن مع الذي يدق بخطواته الواثقة على صدرها ، اذا لامفر أمامه من تقبلها والالتحام بها رغم مانحمله من رعب . ويقوده هروبه في الاتجاه الصحيح الى اول مواجهة مع جندي من جنود العدو ، وكان قبل ذلك بلحظات قد طرح ساعته على الارض . . . «وفجأة بدت لي الساعة غير ذات نفع ، حيث لاأهمية هنا الا للعتمة والضوء . وفي هذا العالم الممتد الا الابد من السواد القاتم ، تبدو الساعة مجرد قيد حديدي يغرز رعبا وترقبا مشوبا . وفي اللحظة التالية فككتها بهدوء واطرحتها ، وسمعتها تخبط بصوت مخنوق في الارض» (٥) بطرحه الساعة على الارض ، يتخلص نهائيا من سجن الماضي وحصاده ، ويتبدى عملياً خطواته نحو الحياة ـ الفعل . ويقوده هذا الى الاصطدام بالجندي الصهيوني ، فيأسره وهو مسلح بإحساس جديد غريب ، فبعد حسابه لنسبية الامور ، أدرك أنه . . «قبل دقائق كان كل شيء في هذا الكون ضدي تماما ، وكانت الامور كلها في غزة وفي الاردن تعمل في غير صالحي . وكنت أقف هنا ، هنا بالضبط في رقعة محاطة بالخسائر من كل جانب . فتعال أقول لك شيئاً مهماً : ليس لدي ماأخسره الآن ، ولذلك فقد فاتت عليك فرصة ان تجعلني ربحاً» (٦) . حامد يطرح هنا بعيدا حساب الخسائر فقد سيطر على خصمه وفي الوقت ذاته ، وعبر تداخل الزمن وتشابكه ، تخطو مريم خطواتها الاولى نحو تحويل همومها الفردية الخاصة في المسار ذاته كي تتخلص من ماضيها الذي يحاصرها في شخص زكريا ، فتقدم ـ عبر دقات الساعة ـ على طعن زكريا بسكين المطبخ في عانته ، معلنة بذلك دخولها مع حامد في ذات الوقت دائرة الفعل .

الهم الجماهيري في رواية (ماتبقى لكم) ، وإن اتخذ الطابع الفردي الخاص ، الا انه هم متصل ، وعند حدوث المواجهة بين مريم وزكريا أيضاً ، يكون هذا الهم قد عبر نفسه بالصوت العالي ، وأجرى حساباته الخاصة والعامة بدقة متناهية ، وقد كان لابد من اتخاذ هذا الموقف لان الامور كافة لم تعد تحتمل التأجيل والتسويف ، فـ «ماتبقى لها . . . ماتبقى لكم . . ماتبقى لي حساب البقايا . حساب الخسارة . حساب الموت . ماتبقى لي في العالم كله . ممر من الرمال السوداء عبارة بين خسارتين . نفق مسدود من طرفيه . كله مؤجل . كله مؤجل» (٧) . وهكذا ، فان الرواية بتشخيصها لهموم الجماهير ، تريد ان تعلن صراحة «انه عند المواجهة يتحول حساب الخسائر بالنسبة للفلسطيني الى حساب أرباح . . . يصبح الزمن رفيق الفدائي بعد ان كان خصم اللاجيء»(٨) .

الحلول في بحر الجماهير

في عام ١٩٦٩ ، كتب غسان كنفاني روايتيه «عائد الى حيفا» و«أم سعد» ورغم اختلاف موضوعيهما وأسلوبيهما ، الا انهما ضمن البحث عن تعبيرات غسان عن هموم الجماهير ، نجد أنهما يقدمان تنويعات محدودة في الاطار ذاته . في رواية (ماتبقى لكم) ـ ١٩٦٦ ـ حسمت المواقف كافة لصالح المواجهة كحل لهموم الجماهير ومأزقها ، ولما كانت المواجهة مازالت فردية ، يعود غسان للموقف ذاته في (عائد الى حيفا) ـ ١٩٦٩ ـ اي بعد ثلاث سنوات ، ليؤصل الموقف فكريا ، بحيث يجعله غير قابل للنقاش والجدل ، اذ لم يعد مجال للشك في ان (المواجهة ـ الصراع) الحل الوحيد لهموم الجماهير المنطلقة الى العودة الى الوطن ، المكان الوحيد المؤهل والمناسب والقادر على تفسيخ الهموم وتحويلها الى آمال وتطلعات . عندما ذهب (سعيد . س) مع زوجته (صفية) الى حيفا عبر بواية مندلبوم ، كان يشعر بالاحباط والاسي والهزيمة ، لانه كان يدرك في اعماقه هول الفاجعة ، فهو يعود الى حيفا بعد ان وحد الاحتلال فلسطيني كلها ، بدلا من ان يزور حيفا المحررة كما كان يأمل . قبل سفره ، رفض بشدة فكرة التحاق ابنه خالد بالفدائيين ، وكان يطمح مع صفية دون اتفاق مسبق ان يعثرا على (خلدون) الطفل الذي تركاه خلفهما عام ١٩٤٨ . خلدون ـ دوف فيما بعد ـ شكل صدمة عاطفية لوالده ، أوصلته الى تأكيد قناعات فكرية ، كانت مهزوزة لديه . خلدون ـ دوف ، عندما عرف انه من ابوين عربيين ، وهاهما أمامه بلحمها ودمها ، لم يتغير موقفه ، وظل على ولائه لما تربى فيه وعرف له بانه (وطن اليهود) وأصل قناعته بقوله (ان الانسان هو في نهاية الامر قضية) . خلدون ـ دوف يرى ذلك ، في حين ان سعيد . س يرفض التحاق خالد بالفدائيين من أجل القضية في حلها يكمن حل كافة همومه الخاصة والعامة .

نتيجة هذه الصدمة ، وما تبعها من قناعات جديدة ، يتمنى سعيد . س لو انه سمح لخالد بالالتحاق بالفدائيين ، لانه ادرك ان (دوف هو عارنا ، ولكن خالد هو شرفنا الباقي»(٩) . لذلك تتغير لهجته مع دوف واليهودية مريام ، فيكون جوابة لها قبل خروجه من بيته السابق «تستطيعان البقاء مؤقتا في بيتنا فذلك شيء تحتاج تسوية الى حرب» . (١٠) .

بعد تأسيس المواقف السابقة وتأصيل القناعات الخاصة بها ، تجيء رواية (أم سعد) ـ ١٩٦٩ ـ والعمل الثوري الفلسطيني قد سجل نموا ملحوظا في ميدان المواجهة والصراع مع العدو الصهيوني ، وانخراط قطاعات أوسع من الشعب في هذا الصراع ، فقد نما الوعي بأن الهموم الجماهيرية ـ خاصة وعامة ـ تجد ميدان حلها وتحولها في الصراع الايجابي الواسع . في هذا الصراع لم يعد مجال للبطولة الفردية ، فتجيء (أم سعد) نموذجا للشعب . وليس افتعالا ولاتعسفا ، اذا قلنا ان هذه الرواية حلقة مكملة للرواية السابقة (ماتبقى لكم) . في هذه الرواية كنا مع الطليعة التي تعلن التمرد على مايحيطها من حصار وموت ، وهنا في (أم سعد) ، تسري عدوى التمرد ـ الفعل الى الجماهير ، فتصبح امام الشعب كله . وقد سار وراء هذه الطليعة مدركا ان المواجهة هي قدره ، وانه ضمن كافة الحسابات لم يعد هناك مايخسره . روغم البطولة المفردة لهذه الرواية ، الا ان (أم سعد) تكتسب في الرواية الملامح الجماعية ، فلم تعد ام سعد الفرد ، انما الشعب بأكمله .

الهموم الجماهيرية التي قمعت طوال السنين الماضية ، تجد المتنفس الحقيقي في حلولها في بحر الجماهير ، حيث تصل الحد الاقصى من قدرتها في التعبير عن تلك الهموم من خلال التحامها في الكفاح المسلح ، لان هذه الجماهير تمثل كما يقول غسان في التقديم الطبقة «التي تقف الان تحت سقف البؤس الواطي في الصف العالي من المعركة ، وتدفع وتظل تدفع اكثر من الجميع» . ان احساس الطبقة التي تمثلها ام سعد بحرارة الهزيمة لايعادله احساس ، فهي الطبقة التي يقع على كاهلها العبء كله ، وفي الوقت ذاته الذل كله ، ان الاحساس الجماهيري لديها تعرف ان خلاصها في الكفاح المسلح الذي يمثله الفدائيون (خيمة عن خيمة تفرق) وهذا يؤدي الى تحولات واضحة في السلوك اليومي للشخوص من جراء تأثير الوضع الاجتماعي الطارىء بتنويعاته المختلفة . «أم سعد» الام الفلسطينية ـ الجماهير التي تتوحد مع الارض ومن أجلها . تحمل همومها وآلامها وتسهم في تحقيق تطلعاتها ، ولاتكف عن البذل ، ولاتتعب من العطاء والتضحية «هذه المرأة تلد الاولاد فيصيروا فدائيين . هي تخلّف وفلسطين تأخذ» . في هذه الرواية يأخذ البطل الفلسطيني شكله الجماعي الذي يناسب المرحلة الثورية التي يعيشها ، وفيها نعيش الوضع الثوري بأبعاده الجماهيرية ، وبها تبلغ الرواية الفلسطينية قمة واقعيتها الاشتراكية ، حيث الانحياز العلني للانسان الكادح الذي يبني غده المشرق تمردا على واقع يسوده القمع والاستغلال ، وبصادر العدو المحتل حقه في العيش على أرض وطنه . . .

كانت روايات غسان كنفاني الاربع نواكب في رصدها لهموم الجماهير الفلسطينية حركة الشعب الفلسطيني التاريخية ، واذا اقتصرت هذه الدراسة على رصد الهموم ذات الطابع العام المتعلق اساسا بالقضية الوطنية وتناميها حتى حلولها في بحر الجماهير الساعية نحو الكفاح المسلح كحل لهذه الهموم ومتعلقاتها ونتائجها ، فإن في هذه الروايات . . . ومجموعاته القصصية ، تعبيرات اخرى عن هموم جماهيرية ، تتعلق بمتغيرات الحياة اليومية الصغيرة ، وبرصدها نكون امام كاتب كان يعيش الجماهير وحياة وكتابة ، وهذه النواحي موضوع دراسة اخرى ●

هوامش :

١ ـ «غسان كنفاني في آخر لقاء اذاعي معه» ـ مجلة الهدف ، العدد ١٢٩ ايلول ١٩٧٣ ص١٨ .

٢ ـ اكتفي في هذه الدراسة بروايات غسان كنفاني التي نشرت كاملة في حياته ، وهي الاربعة المذكورة ، أي أنني لن اتعرض لروايتيه اللتين لم يكتملا ، ونشرتا في مجلد اعماله الروائية ، وهما (الاعمى والاطرش) و(العاشق) ، لان عدم اكتمالهما يجعل دراسة الجزء المكتوب منهما غير موضوعية ، وبالذات اذا أراد الناقد اصدار احكام معتمدة على تطور البطل والاحداث ، والعلاقة بينهما ، لان الناقد لايمكنه التنبوء بما كانت ستكون عليه هاتين الروايتين ، لو أكمل غسان كتابتهما .

٣ ـ من الضروري الاشارة هنا الى ان «أم سعد» و«عن الرجال والبنادق» لغسان كنفاني ، و«عناصر هدامة» ليوسف الخطيب ، و«مهى الباشورة» لخليل السواحري و«صداسية الايام الستة» لاميل حبيبي ، اعمال تشترك في خصائص معينة في بنائها الفني ، أثارت خلاف النقاد والدارسين حول اعتبارها قصصا قصيرة ام روايات .

٤ ـ ماتبقى لكم ص ١٦٧ .

٥ ـ ماتبقى لكم ص ١٩٠ .

٦ ـ ماتبقى لكم ص ٢٠٩ .

٧ ـ ماتبقى لكم ص ٢١٥ .

٨ ـ غسان كنفاني ـ من حديث لمجلة المثقف العربي العراقية ـ العدد السابع آب ١٩٧٠ ص ١٠٥

٩ ـ عائد الى حيفا ص ٤١١ ـ ٤١٢

١٠ ـ عائد الى حيفا ص ٤١٣

★ الاستشهادات الواردة في الدراسة من روايات غسان كنفاني ، تعتمد على المجلد الاول من «الاثار الكاملة» له الصادر عن دار الطليعة بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٢ .

Digitized by Birzeit University Library

في الذكرى
الثانية عشرة
لرحيلك ياغسان

انسكلوبيديا الروح

شاكر السماوي

لا أدري لِمَ الروح حين تتعمق تتسع ، حين تتجذر تتغصن ، وحين تصدق تخلق ؟ لكني أدري أن الانسان حين يكون مع الحياة تكون الحياة معه ، حين يكون مع العصر يكون العصر معه ، وحين يكون مع الضرورة تكون الضرورة الأفضل معه .

هكذا أوصلتني قراءتي لغسان كنفاني عبر مؤلفاته الكاملة ، حيث الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والمقالات الصحفية - سياسية وثقافية - والوقفات النقدية مع القصيدة ، الفولكلور ، الظاهرة الثقافية حتى حتى غدت تلك الاعمال متحفة روحية .

أنا شاعر شعبي . . . دفعني اعتيادي الشعري هذا للنبش عن ما - ربما - يقوله كنفاني عن هذه الظاهرة من ثقافة وإبداع العامة ، وهل واجه الظاهرة بترفع وتعالٍ عهدناهما في أحاديث وتداولات البعض من الآخرين . . . فوجدته يفرز من قناعاته الادبية امتيازاً هاماً للقصيدة الشعبية ودورها الثوري :

[إلى جانب الشعر الفصيح الذي قدم نفسه ملتزماً بالصيغ التقليدية ، ظل الشعر الشعبي قلعة المقاومة التي لا تهدم . / ظل الشعر الشعبي بعد سقوط فلسطين عام ١٩٤٨ هو المكان الذي عبر فيه الشعب المغلوب على أمره عن أشواقه ، كانت الاعراس تتحول في الجليل الى مظاهرات عنف تندفع من تحت لسان القوّالين والشعراء الشعبيين . / في منطقة الشاغور كانت أهزوجة تقود الصدام الدموي . / إن مصرع الشاعر الشعبي حميد في أم الفحم كان محاولة للوقوف في وجه آلاف من المواويل والعتابا والميجانا التي كان يزرعها ضد الاغتصاب وحكم الاغتصاب .]

« كان عليه أن يحقق تكامله النفسي ، كفلسطيني أولاً ثم كأديب معاصر وأخيراً كسياسي فاعل . » هذه التشخيصة الثلاثية الابعاد لشخصية غسان الموهوبة المكتنزة بالقدرات المتنوعة التشكل واللاهثة التواصل هي من توصلات جبرا ابراهيم جبرا في معرض تقديمه لمسرحيات كنفاني الثلاث . لقد كان يتنقل بين الاشكال الابداعية كما يسترو يعطي إشارة الصفر لعناصر جوقته الموسيقية فتنساب الآلات ، كل واحدة في خصوصيتها ، الكمان ، الكيتار ، البيانو ، الارغون . . . ومن عالم كل آلة يبني بعصاه التوقيعية هارومونٍ المعزوفة ، هارموني الكل .

ومعزوفات كنفاني المتكررة والمزمنة الحضور هي فلسطين - الارض ، فلسطين - الانسان ، فلسطين - الحرية . . . « إن هواجس الموت والحياة عند غسان ، المنفي عن أرضه ، لصيقة بالتراب الذي يتخذ لنفسه رموزاً شتى في ذهنه دون وعي منه ، وتتوحد هذه الهواجس به في أعماق نفسه لتصبح بعضاً من غوامضها ومتناقضاتها - جبراً »

وعند كنفاني يمد الخاص ظلاله وحضوره ليتوزع في الكل . فالتأمل في الموت الاستشهادي يتحول إلى تأمل في الموت المطلق ويكتسب بذلك شمولاً وبعداً درامياً تلتقي عند محصلته عناصر القدر الاغريقي والرهبة من كوامن الذات وانفلات الصراعات العمياء فيها والتي تجرف حتى سدودها فيظهر الفرد بين لجيها ضحية لحتمية لامرد لها . . . كذلك الأرض حين يبدأ منها - في رواياته أو مسرحياته - لايكمل دورتها ، بل بمصائر تجريدية يترمز فقط عبر وحدة الرؤية كالشهادة التي تتكفن بالعبث والبطولة كغاية لذاتها ، والعالم الذي يزداد غربة بتغريبه والفكرة التي تتعذب لعجزها عن خلق التجسد ، بل هناك خوف ماحتى من السعادة والحرية إذ تتسع رقعة الصراع كلما اتسعت نزوعات الرفض والتحدي :

رقم ١ : نريدك أن تحكي عن الجريمة المتهم : هذه الجريمة أيها السادة . . . هل هناك ماهو اكثر رعباً من حياة إنسان كان يخبيء الحب في جيبه كسلاح أخير للدفاع عن نفسه ؟

رقم ١ : هل كان ثمة من يهددك ؟

المتهم : كل الناس . كل شيء . صاحب البيت والخباز والطبيب . والغربة والوحشة . والوحدة . الشقاء الذي لاينتهي وفرص السعادة التي لانستطيع أن نملأها . الفشل ، طعم الانتصار التافه . القلق . نداء الرحيل الذي لايُستجاب . غياب الشمس وغياب الصديق وغياب الدهشة . الموت . . . ياإلهي ! أن نراه قريباً الى هذا الحد وان ننتظره ليل نهار . . . ؟

هذه اللقطة من المشهد الاول من مسرحيته (القبعة والبنى) هي بانورما مركزة لذات في حركة العالم ، إنها مونولوج شكسبيري إزاء عالم تصارعه وأنت مدرك أنه سيصرعك ، تربح فقط لأنك حاولت رغم يقينك من الخسارة . . . وهنا تكمن البطولة التراجيدية التي لاتتحكم بها معادلة القدر الاغريقي ولا تنساق تحت هواجس الذات الشكسبيرية بل التجلي في الوعي والأختيار البرشتين . . . إنها الخاص في دراما هذا العصر والتي - عبر فلسطين - اتخذت في خصوصيتها شكلاً أكثر من التراجيكوميدي . . . إن غسان ، من سعة وتنوع مواهبه الابداعية ، يبدو أكثر من شخص في شخصيته . ففيه الثوري وفيه السيزيفي ، وفيه العقل وفيه الحلم ، وفيه السياسي وفيه الاديب . . . والأهم ، أن وحدة الأبعاد سارت مع بعضها بتراقٍ وتوافق حتى تكاملت في قوام إبداعي منسجم العلائق ، منسجم الرؤية والتوجه .

في حقل الدراسات الأدبية يعتني غسان بالتقدمي والجماعي من التراث الفلسطيني والابداع الفرادي الحديث . وتراه كمثقب ماهر وحريص يستخرج من بين ركام وانقاض السنين والاحداث مايعزز الشخصية الفلسطينية ويُثري تواصلها ويثبت جدارتها الوطنية والقومية والحضارية . يذهب إلى شعر القوّالين وغناء الفجر وحكايات الجدّات ، ينتقي من الاشعار الثورية [صالح سليم ، سالم جبران ، عبد الرحيم محمود ، بسميح القاسم ، توفيق زياد ، محمود درويش ، حنا ابو حنا . . .] ، يكشف عن المواقف النضالية للأبطال الشعبيين الذين عارعوا الاغتصاب بحيهم لأرضهم فقط ، يتابع الادب الصهيوني بالحوار والردود وتعرية جوهره العنصري ونزوعاته العدوانية ، بل ويكشف كيف الفلسطيني يلاحق واهمات اولئك الكتاب الصهاينة ويؤرق دواخلهم المرتجفة بالأثم والالامنطق إذ يتحرك حضوره المضاد واشباحه التي تؤرقهم في رواياتهم وإشعارهم وكتاباتهم .

إن وقفات كنفاني النقدية تتسم بشعور عالٍ بالمسؤولية الثقافية وبذوق انتقائي رهيف ومنهجية ثورية تتمثل بالربط الجدلي بين الجماهير وحركتها من جهة وبين المبدع وعصره من جهة اخرى . . . « ولم تؤد هذه الظروف اليومية إلى خلق أدب يساري فقط ، ولكن أيضاً إلى تعميق موقف المقاومة ورفعه من مستوى العاطفة المشتعلة العمياء إلى مستوى العاطفة الواعية الثابتة الجذور » .

وهو حين يتناول بالوصف أو العرض أو التحليل وحتى الاستنتاج الفعاليات الثورية للناس - لاسيما في الارض المحتلة - يتناوها كمن يتشمم تراب وطنه ، ويبدو سائراً كالحالم بينهم ، . . . لايعلن ايمانه بالشعب وعدالة قضاياه كلافته أو شعار أو موعظة بل الشعب ذاته يحضر كايمان وكبرهان على جدواه وجدارته . . . شديد الاعجاب بناس الحياة اليومية في تفاصيل الوطن الأم . . . ومن هنا انبثقت مقولة درويش عن كنفاني . . « كان توحده في الفعل الكتابي ، والذي يبلغ حد التصوف ، نوعاً من استرداد حياته في حياة شعبه وصياغتها في مسرى الحلم العظيم » . . . وفي هذا التداخل وحيز التجاذب يتجسد ايقاع المكان في كل كتابات غسان وتهبط حركة الزمان لتتساوق وحركة المكان . . . وكأن ثمة صراعاً رهيباً يتفلق ، عبر رؤاه ، لالغاء

Digitized by Birzeit University Library

التوازي بين هذا الزمان وهذا المكان من أجل تحقيق التطابق الأصولي والضروري بين زمان يستعيد ومكان يُستعاد ، حيث فلسطين كما كانت والزمن الفلسطيني كما ينبغي أن يكون . . . « حين تكون عين الكلمة مفتوحة على سعتها ويكون المغلوب على أمره شجاعاً فأنه لن يجد في نهاية المطاف ماهو جدي أكثر من السخرية ، على اعتبار أن الوضع المواجه برمته هو وضع لايمكن اعتباره أكثر من مؤقت – غسان / الدراسات الأدبية .

إن محاورات كنفاني تتسم بقدرتها على الاقناع الهادىء الراكز واستيقاف القاريء ليستمع لها ويتفحصها . وهذا – حسب ماتوصلت – يعود لأسلوبه الاستقرائي الذي يجذب القاريء ، عبر سلم الحجة ومداخلات الحوار ، إلى الأستخلاص الذي سيجد القاريء نفسه كمن شارك في صوغه وبلورته . ويعود هذا كذلك إلى وضوح مضامينه في ذهنه وفي تعابيره ، إلى ديمقراطية الشعور والمواجهة ، إلى الثقة في عدالة وموضوعية مايطرحه أو يدافع عنه ، إلى التخلص من طفح الحماسات الذي يتراكمه يوسع الفجوة بين المحاور والمحاور ، بين الحقيقة واحتمال وصولها للآخرين .

حين حاور غسان فرويد حول استنتاجه – فرويد – القائل بصواب تفوقية اليهود وشرعية التعصب العرقي تحت شرطية هذه التفوقية ، رد على هذا الظن الفرويدي . . . « من الضروري أن نلاحظ كيف يتحدث فرويد عن اليهودية كدين في الوقت الذي يعطيها فيه صفات العرق وهو يعتقد بأن شعور اليهود بالتفوق العرقي ليس ناتجاً عن عقدة نقص ناشئة عن الاضطهاد الذي تعرضوا له ولكن عن قناعة واقعية بالتفوق الطبيعي » . . . لكن . . . « ضروري جداً – التمييز بين نوعين من الشعور بالتفوق : النوع الاول هو الفخار ، وهو شعور ، الى حد ما ، مشروع وطبيعي وعام بينما لايتجاوز الثاني احتقار البشر والشعوب والنظر اليهم نظرة عرقية » . – الدراسات الأدبية .

ربما لم يتوغل غسان في تفاصيل نقدية بخصوص الشعر إلا أن مختاراته الشعرية المتضمنة أفضل ماانجزه أفضل الشعراء الفلسطينيين هو بحد ذاته ممثل لمعياره الذوقي والنقدي للشعر . . . فالذوق بحد ذاته معيار . . . إن لم يكن أصدق من المعايير الفكرية التي قد تتلبس لبوس التبرير والعقلنة . شعراؤه المفضلون – كما يبدو من مختاراته – (توفيق زياد ، سميح القاسم ، محمود درويش ، القروي ، سالم جبران) . . . وشعره الذي يحُب من اشعارهم التي أحب يماثل هذه العينة :

لمغنيك على الزيتون ، خمسون وتر
ومغنيك أسيراً كان للريح
وعبداً للمطر
ومغنيك الذي تابَ عن النوم
لسلى بالسهر
سيُسمي طلعة الورد ، كما شئتِ :
شرر !

في مقدمته لمجلد دراسات غسان الأدبية قال درويش « تأريخ تبلور النثر الفلسطيني الجديد يبدأ من غسان كنفاني . « وهذه التشخيصية النقدية لم تحضر من خلل وقفة الرثاء ولا تقليد تضخيم محاسن الشهداء ، بل هي تستند الى مكانة ودور المنجز النثري الضخم الذي تركه الشهيد للمكتبة الفلسطينية والعربية . وقد يكون درويش ليس الوحيد أو السبّاق في اكتشاف ذلك ، فنثر غسان مستكمل لشروط تميزه ودوره .

إن نثر غسان نثر متميز بمواصفات جمالية وأدائية حققت له الفرادة في خضم سيول الكتابات النثرية للادباء والمثقفين الفلسطينيين ، لاسيما في مطلع موجة النهوض السنيني ، الثقافي والثوري . فلغته تقع بين الشعر والنثر ، شفافة ، سلسة ، سهلة التمثل ، جذابة بحيويتها واكتنازها المضموني ، أنية الحضور بصدقها الناضج والحقائق التي تستقر في قيعانها كأحجية الجاحب التي تخترق الظلام بوميضها المجنح : . . لقد بدا من خلالها – كمن أطاعها كثيراً حتى طوّعها أخيراً .

تتسم لغته بعدم الميل الى التعميم الكلامي والترهل في فضفاضية التعبير ، عدم الولوج بعيداً في العواطفية والحماسة ، الحرص على تحقيق التطابق التقني بين العبارة ومداليلها ، هدفيتها ، حزنها الظلالي ، نزوعها الحواري الحضاري النكهة . . . أنا لم أحظ بتعرف عن قرب على الراحل ، لكني أتصور أن غسان الأديب هو غسان المناضل ، وكلاهما غسان الأنسان . . . وفي هذا برهان ساطع على مقولة « الأسلوب هو الرجل » . . . واستطيع إضافة القول : أن المعاني هي الرجل أيضاً .

ثبت جبرا ابراهيم في مقدمته لمسرحيات غسان شيئاً يشير الى ماأشرت « فهو – غسان – لم يكن يستطيع التوقف عن الكتابة لحظة واحدة في السنين الخمس عشرة الأخيرة من حياته ، إذ كان عليه ان يحقق تكامله النفسي ، كفلسطيني اولاً ، كأديب معاصر واخيراً كسياسي فاعل عن طريق الكلمة باشكالها جميعاً ، بطاقاتها جميعاً ، بأساليبها جميعاً . . . ليؤكد على هويته أو هوياته المتداخلة . . . ويجمع فيها بينها بروابط من التفكير المتصل » . . . وكان ، وكانت منجزاته الابداعية والعملية باتساع روحه وخصبها وتنوعها وكثرتها كمياً . . . فاضافته الحياة مثلاً آخر لظاهرة حيرت العقول ، ظاهرة كيف يستطيع المبدعون الكبار انجاز هذا الكم من الابداع الفني والخلق الثقافي في حيز عمر الواحد منهم . . . حيز يبهر الانسان حين يرى ضيقه قد تمدد بشكل اسطوري ليتسع للكم الابداعي المحقق . . . كيف سمحت الساعات الابداعية لدستوفسكي ، لشكسبير ، لماركس ، لجوتيه ، لابن خلدون ، لبتهوفن ، للينين ، لبيكاسو ، للجواهري ، لنجيب محفوظ ، لدافنشي ، للسياب لـ . . . لـ . . . أن يقرأوا ، يكتنزوا ، يتدربوا ، يتمرسوا ، يضعوا مشاريعهم ، يبلوروا تخطيطاتهم ، ينفذوها ، ثم ينتهوا من وضع اللمسات الأخيرة . إن أثار الواحد منهم يجدها العابر عبرها انها قد تحتاج زمناً يبلغ اضعاف زمن عمره الحقيقي . . . ناهيك عن سنين ماقبل الابداع وساعات النوم اليومي والساعات والأيام والأشهر الضائعة في تلافيف الحياة اليومية ومتطلبات العمل والعيش والعلاقات . . . إن الأمر يدهش كاللغز .

إن هذه الظاهرة المتمثلة في لامعقولية التناسب بين الزمنين ، الحياتي والابداعي ، تُدخل في الانتباه اعتقاداً في أن الزمن الابداعي يتناسب تناسباً عكسياً مع كثافة ومقدار النضج الابداعي . . . أي كلما كانت الحقيقة الداخلية – بوعيها ولا وعيها – المعبر عنها والادوات اللازمة للتعبير بها عنها أكثر نضجاً وزخماً كان الزمن اللازم لولادة المنجز الابداعي أقصر . . . لماذا ؟ الجواب ستظل مفتوحة ابوابه للنقاش ، واعتقد أن الموضوعة جديرة بالتأمل والتحاور .

هذه المعادلة أحدسها – بخطها العام – سليمة ، أما الأسباب الكامنة وراءها ، فأنا شخصياً لم تتضح لي بعد بشكل بات وموثوق به . . . فالأمر من التعقد والغموض والهلامية بحيث يخلق الرهبة ويستدعي الحذر ويشحذ الشعور بالمسؤولية .

لقد سبق للعالم النفساني كارل يونج أن نوه في معرض تعريفه لـ « الموهوب » إلى أن «الموهوب هو من يستطيع أن يعرف عن شيء ماالكثير مما يتعلمه عن ذلك الشيء »قد نجد في هذا القول بعض العون على الخروج من الحيرة التي لفتنا بها الفقرة السابقة .

لكن الأمر سوف يظل بحاجة اكبر إلى وقفة اكثر تفصيلاً وتخصيصاً ودقة وتوثيقاً . . . ومع هذا ، فعلى رجلنا الذي نقف عنده في ذكرى رحيله تصح مقولة يونج كموهوب برهن على ذلك بها وهب ، وكروح اتسعت لتعمق وتعمقت لتتسع .

■

غسان كنفاني والمسرح الوجودي

خليل الخليل

ليس مصادفة بالتأكيد أن يتجاهل معظم الذين كتبوا حول انتاج الشهيد غسان كنفاني ، أعماله المسرحية الثلاثة التي كتبها بين عامي ١٩٦٤ – ١٩٦٧ فمن ناحية أولى لم يكن غسان كاتباً مسرحياً يلفت الانتباه ومن ناحية أخرى فإن رؤياه للكون والمجتمع والعلاقات الانسانية التي تتجلى في رواياته وأقاصيصه ومتابعاته الصحفية والنقدية لاتتساوق مع تلك الرؤية الوجودية المستورة في خفايا انجازيه المسرحيين الأساس : الباب / ١٩٦٤ / والقبعة والنبي / ١٩٦٧ / وصار واضحاً أنه لم يهيأ لغسان كنفاني بعد ، ذلك الناقد الذي يكشف مفارقاته الفلسفية ، ولماذويه تنوع مستويات تشكيله الابداعي الغادي بين الرمزية والذهنية والواقعية ليضع يده على هواجس كاتب تلخص أسئلته وهمومه ومطارحاته ، السيرورة القلقة للثقافة العربية المعاصرة خلال عشرين عاماً شهدت مساحتها بعض أهم التحولات في المجتمع العربي بتركيبته الكلية ، والفكر العربي بالتالي . وقد ظل معظم نقاد ذلك الفلسطيني الفذ يتعاطون معه من ناحية الايديولوجية وبذهنية التعقيب والشرح لابروحية السبر والكشف وقد تستثنى من ذلك محاولة الأستاذ يوسف اليوسف عام ١٩٧٦ لبحث روايات غسان والتي نوه فيها إلى القاع السيكولوجي وتوسع ببحث مكنونات بعضها التراجيدية // راجع مجلة المعرفة السورية العددين ١٧٢ – ١٧٣ // .

ولعل السؤال الأول الذي يمسك محاولة البحث في أدب غسان كنفاني المسرحي هو مدى أهمية مسرحياته التي عانت من ركاكة بنائها الدرامي من حيث الحدث وتركيبه ، معمار الشخصيات ، مستوى الحوار والمعالجة العامة وذلك نتيجة ذهنيتها العالية فبدهي أن مسرح الأفكار المجردة من امتدادتها الحياتية وتنوع وعمق تشابكها واستزارها للواقع هو مسرح لاحي ، وأعمال كنفاني المسرحية لم تستطع ربط رحمها بسرة الواقع ولم تلتحم بالحياة التي هي أس كل دراما ، ولذا ظلت تجربته المسرحية تجربة محدودة كما أشار بذكاء ناشر مسرحيته الأولى // انظر مقدمة مسرحية الباب ص ١٠ الطبقة الثانية ١٩٨١ بيروت) .

وقد يكفي القول ، كمشروع اجابة مبدئية ، بأن تلك المسرحيات تساهم بايضاح التطور المعرفي والاجتماعي لكاتبها وتنامي أسئلته ورحابتها وتثير حيزاً من سيرورته الفكرية ومن سيرورة الأدب الفلسطيني قبل تبلور الثورة الفلسطينية كحركة تحرر وطني رجّت ساحة الفعل السياسي العربي وإعادة صياغة كثير من مفهوماته وتحولها إلى فاعل جدي في الذات التاريخية العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ أي حين كان الفلسطيني يقبع في بؤرة المنفى وانسلاخ الموجودية الوطنية عن ترابها وتكويناتها المجتمعية وحضورها الثقافي ، وبالكاد يتلمس خطاه نحو التمرد .

كما أن كنفاني في مسرحياته ، وبعض قصصه القصيرة ، يؤشر بمحدودية وبساطة على ماهية الصراع الفكري في المنطقة العربية (والسورية خصوصاً) حيث كانت الساحة تمور بأسئلة خلافية

Digitized by Birzeit University Library

حارة باحثة بخصوصية عن منافذ الرؤية وآفاق التحول وتبدأ اطلالها المجدي على فيض الفكر العالمي المعاصر ومنعكساته الأدبية .

ومن وجهة ثانية نشير إلى ضرورة أن ندرس هاتيك المسرحيات في اطار السياق التاريخي للكتابة المسرحية العربية والتي ظلت حتى الهزيمة تتحرك ضمن مساحة توفيق الحكيم وضمن الهيكلية الأخلاقية والأسئلة الهامشية البعيدة بمسافة كافية عن وعي التفاعل الفكري والتغيرات السياسية والاجتماعية الحادة داخل الكيانية الاجتماعية العربية . . وضمن ارتحاء مفاصلها الدرامية وغيابها عن ساحة الفعل والحضور . . تستثنى من ذلك بعض كتابات نعمان عاشور ونجيب سرور وميخائيل رومان وسعد الله ونوس من جيل مابعد النكبة وسنحاول في هذه المقالة البحث في عملين مسرحيين لغسان هما الباب والقبعة والبني .

أولاً - الباب ١٩٦٤

في حوار أجراه الناقد المصري فؤاد دوارة مع الأستاذ سعد الله ونوس على صفحات مجلة الهلال القاهرية عام ١٩٨٠ يقول الأخير : // كنت أكتب مسرحيات للقراءة ، وظللت فترة طويلة أكتب مسرحيات وليس في ذهني أي تصور لخشبة المسرح // . وينطبق هذا الاعتراف بدقة على مسرحية الباب في حوارية للقراءة وليست عملاً للتشخيص .

نشرت المسرحية في مرحلة يفاعة الفكر الوجودي وامتداده في منطقتنا العربية مع كتابات وترجمات الدكتور عبد الرحمن بدوي واصدارات دار الآداب ودار الحياة اللبنانيتين تلك اليفاعة التي واكبت انتشاء الفكر القومي العربي . ولقد تمثلت المسرحية زاوية الوعي الوجودي للحياة والكون واستفساراته التي مدارها النكوص إلى الذات وكشف عمق تجادلها مع الموضوع المتلبث في جوهره ، القمعي بفعل بنيته الداخلية العمياء ؛ ذلك الوعي الذي أضاف إلى تاريخ الفلسفة مصطلحات : الضياع والحرية الموت والقلق ، العبث والاختيار واللاجدوى محمولة على الذات الانسانية المشروخة بحكم ماهيتها ولطالما انعكست تلك الذات في الأدب الوجودي مثلاً روكنتان في رواية الغثيان ، ميرسوفي الغريب ، كاليجولا في كامو . الذات التي تصل في محصلتها إلى سؤال سارتر // ولكن مالفائدة// ؟ وهي وجه للشخصية السيزيفية وبمقدار آخر هي المطالبة باعلان تمردها غير آبهة بانذار القدر وسلاحه الأخير « الموت » وعبر قناة التمرد تمسك تلك الشخصية بطولتها وعظمتها الداخلية القائمة على التحدي وهو تحدي هيكتور لأخيل في اليلياذة هوميروس الرائعة حيث يصرخ به : أما الآن فلم أعد أخشاك . . وهو يعلم تماماً قوة آخيل وعندما يفقد رحمه الوحيد يصرخ : // اذا كان لابد من الموت فلأمت على الأقل ميتة يتناقل ذكرها رجال الأجيال الآتية // [الالياذة ص ٢٥٧ ط ٢ بيروت ١٩٨٢] ./

ذلك هو تحدي شداد بطل مسرحية الباب الذي يعلن بملء فيه [الموت ، هو الاختيار الحقيقي الباقي لنا جميعاً] ويصر على الذهاب نحو موته بارادة صلبة قائلاً // لا الخوف يردني عنه ، ولا اليأس يسد أمامي طريقي . . //

ولكن الفارق أن هيكتور المقتول بمؤامرة من الآلهة بطل تاريخي في نطاق الاسطورة أما شداد فهو بطل وجودي عاف الحياة ولذائذها العابرة ، محشو بالأسئلة باحث عن انعتاقه عبر التحدي ونتساءل أليس أدب غسان كنفاني في احدى خفاياه دعوة إلى الفعل ، دعوة للتمرد على الشرط الفلسطيني القاهر فهو مرة يطالب بقرع الخزان ويقتل ابطاله لأنهم ماقرعوه . . ومرة يصرخ : هذا ماتبقى لكم مشيراً إلى السكين التي حملتها مريم لتطعن زكريا التتن ، ورغم تلك الدعوة القابعة في قيعان انتاجات كنفاني فهو يعلن في مسرحيته الأولى : لاجدوى فشداد سيرمي مكرهاً الطابة إلى الجدار ويستعود إليه ويظل يرميها وتظل تعود هكذا إلى اللانهاية وهذا طبيعي لأن الشخصية الوجودية القلقة مقصوصة من شرطها الاجتماعي ، نائية عن بيئتها وصوراء في توجهاتها وأبعادها ولكن لبعض اسئلتها عمق التأمل الصوفي وغزارة البحث الأبدي للانسان عن ذاته .

أذكر أن كوتز في مسرحية سارتر « الشيطان والرحمن » يقول قبل أن يرمي النرد : إنك منزعج أيها الرب لقد جاءت اللحظة التي أحطم بها لعبتك ، وعندما يخسر أمام كاترين يقول لها : « سأستجيب لارادة الله » . أما شداد الذي بنى أرم ليضاهي الله فيقول : // سأتحداه خطوة خطوة وليفت صوته عظامي // ودفعة واحدة يضعنا كنفاني أمام تساؤل خطر : الحياة والاختيار ومن هنا كان يمكن تحويل شخصية شداد فيما لو أحسن تشييد الهيكل الدرامي إلى شخصية تراجيدية غزيرة الأبعاد لاسيما وأن غسان صمدُ بطولة تلك الشخصية وجعل شداد يعلن بعد موته : أنا لن استسلم قط ، حاربته هناك وسأحاربه هنا وشداد يعرف بعمق أنه يلطم باباً شبيهاً بزنزانة كافكا ، مصمتاً لانفاذمنه ومع ذلك يلطمه ؛ هل ثمة اشارة هنا إلى خسران الحل الفردي : ربما ؟

ولكن ماذا عن تقنية النص المسرحي ؟ إننا أمام شخوص ناجزين سلفاً في الذهن ، يتحاورون دون صراع يتبدى بإهاب فعل مسرحي ناضج وبعبارة أخرى نحن أمام حوارية مختلفة البناء يصعب كثيراً أن نسميها دراما رغم توفر أكثر من عنصر تراجيدي في محبوثها الجواني ، منذ ثلاثين سنة قال غابرييل مارسيل : // اذا كان المسرح الفلسفي ممكناً فهو غير ممكن إلا بشرط أن يفرض افضلية الكائنات على الافكار// . وهو بالضبط الشرط المنقوص من مسرحية الباب .

ثانياً - القبعة والبني

رغم أن غسان كنفاني أنجز القبعة والبني في نيسان ١٩٦٧ إلا أنها لم تنشر إلا بعد استشهاده بتسعة أشهر وذلك في عدد نيسان ١٩٧٣ من مجلة شؤون فلسطينية فلماذا مرت سنوات بين كتابة الأثر ونشره ؟ ولو ظل غسان حياً هل كان لذلك الأثر أن ينشر ؟ اعتقد لا .

فلقد فقدت المسرحية مبررا تها بعد الهزيمة وضاعت راهنيه طرحها لاسيما وأن غسان وجد مستقراً له بعيداً عن الهواجس الوجودية واختلاطاتها واكتشف بعد مخاض عنيف بآلامه وتقلباته فعله الثوري شأنه في ذلك شأن حركة القوميين العرب التي كان أحد مناضليها وعاصرها في أكثر من عاصمة عربية ، وقد انعكس ذلك التغير الكيفي على مجمل ابداعه الادبي وكتابته الصحفية .

وتلك المسرحية التي تقاضي العالم وعلاقية الانسان بتفصيلات ذاك العالم القاهر ويهدس بطلها بتنقية الحياة عبر حلم النبوة متمرداً على حالة الاغتراب والقطيعة والتشيؤ التي يحياها محاصراً بهجوم المعيشة ، تصل كسابقتها إلى اللاجدوى ، فمن أراد بشبق وحية أن يصبح نبياً صار قبعة ، ومتهماً يقتل حلمه دون أن يدري حيث لاماء يروي الحلم . وقد كتبت المسرحية قبل براعة الثورة وفي وقت كان المدى العربي فيه // مطوي على زمن مشرش إلى أعمق أعماقه ، الحب والصمت العنف والغضب ثم وقبل كل شيء وفوقه : الخضوع .// [راجع غسان كنفاني : ماتبقى لكم ص ٥٨ - ٥٩ - ط ٢ بيروت ١٩٨٠]

ولذا لم ينشرها غسان كنفاني فهو عرف . كيف يُقلب ذلك المدى ، كيف يكسر الخضوع ويستعر العنف وكيف يتحول الفلسطيني من مطارد (بفتح الراء) إلى مطارد (بكسر الراء) ودفع غسان ثمن معرفته في ضحى الثامن من تموز عام ١٩٧٢ تماماً كما يليق بالرجال الحقيقيين الذين اجتازوا نطاق الرغبة إلى حيوية الفعل وعظمته حيث يعلو صوت أم سعد في ختام روايتها (١٩٦٩) :// برعمت الدالية ، ياابن العم ، برعمت // كنفاني : ام سعد ص ٧٢ ط ٢ ١٩٨١ بيروت)

في القبعة والبني يتجاوز غسان كنفاني بمهارة عملية المسرحيين السالفين عليها رغم تقاطعها معهما بوساوسها الذهني وهزال قالبها الدرامي واستكانتها للبنى السائدة في المسرح العربي آنذاك فقد استفاد غسان من تجربته القصصية لتخريش زمن وتسلسل الحدث المسرحي لتبدأ المسرحية من خاتمتها تقريباً ثم تتصاعد عبر لعبة « فلاش باك » ذكية ومتألقة ولكنها لعبة لايستفاد منها لكسر الايهام أو تحذير الفعل المسرحي بل خدمت ايضاح مسالك الصراع الفكري كما وظفت لضبط ايقاع العمل وتصعيده فإذا أضفنا لذلك الحوار الشاعري الحي الذي يحطم « ماء اللغة » كما يقول أدونيس نحدد أن المسرحية امتازت بملكة الامتاع الجميل .

ونلمح في تفصيلات المسرحية بداية تلمس لخاصية الكتابة الدرامية فللديكور البسيط دوره في الحدث ، والملاحظات حول الخشبة والصوت والاضاءة منحت الكلام حالة حركية خدمت أسئلة النص وطروحاته .

تبدأ المسرحية من لحظة تأزمية مهمة هي لحظة التهديد ، وكشف « حالة الحصار » التي تقبض على المتهم ، فنحن يسأله القاضي من يتهددك يجيب :

- كل الناس ، كل شيء ، صاحب البيت والخباز واللحام والطبيب ، الغربة والوحشة والوحدة . . الخ المقطع .

فهذه الشخصية التي ليس لها ملامح خاصة تتمايز بتفجعها وعذابها ، بحلمها وكينونتها ، عن شداد بطل الباب فهي ذات جذور أرضية تمتح تفاصيلها من واقع بذيء وتحفل أيضاً بالجنائزية الوجودية بسحه رومانسية ووجع عاطفي ووجداني تحظه لحظة هجر الحبية وفقدانها حيث // كنت أشعر أنني أفقد آخر شيء لي في العالم // .

وفي مواجهة ذلك العالم الموجع ، حيث تلد اجديدا ، لايملك المتهم إلا الحلم . . أو الكائن الفضائي الهابط من نجم بعيد لينقذه من غربته الموحشة ومن احساسه الفجائعي بالخسارة .

وباحتكاكه مع ذلك « الشيء الذي لايأكل ولا يشرب ولا يعرف الشمس ولا النساء » يعيد البطل اكتشاف الحياة فيرفض التنازل عنه ويأبى أن يبيعه بملايين الليرات لأنه كما يقول :// مدخلي للعالم الحقيقي // فهو من خلاله عرف كيف تتوهج خدود الأطفال في الشمس واستشعر للهواء مذاق اللذة ، لنسمعه يدافع عن حلمه المؤهل للنبوة أما صديقته :

« أجربت عمرك أن تسمعي الموسيقى معه ؟ أن تتفرجي على الألوان ؟ أن ترقصي أن تنامي أن تأكلي ؟ أن تصلي في الحقول وعلى رمال الشواطيء . . أن تكوني صديقة أو حبيبة أو طفلة ؟ . . . . . وقبل كل ذلك أن تكوني حقيقية ولو مرة واحدة في عمرك » .

بالتأكيد هي تحاول لأنها مسكونة بهاجس المال ، يصوغها الاستهلاك والعائلة الهشة أما هو فقد حاول ، ورفض ماقدم من اغراءات للتنازل ولكنْ من الطبيعي أن يموت ذاك الكائن فالحلم شيء والفعل شيء آخر فلم يبق للمتهم إلا أن يبكي ، لقد سبق لكير كجورد أن اعلن في مقاله الخوف والرعشة أن البطل التراجيدي يجد الغفراء في قدرته / على البكاء والتفجع / . . والبكاء هنا ليس استسلاماً ففي ختام المسرحية نرى « الشيء » يتحرك بعنف ووضوح ويقول له المتهم . هيا بنا أيها الصديق . . ليس أمامنا إلا أن نخرج معاً . . والنهاية هكذا تبدو خارجة عن السياق الدرامي للعمل فذلك الشيء يكرز طوال المسرحية بخلية طموح المتهم ويدل على وهمه وغربته وفشله وعدم ثقته به نحن نفهم لماذا قتل كنفاني حلم بطله . . ذلك بالضبط لأنه يريد اثبات مقولة اللاجدوى ولتذكر أن غسان كتب في يومياته بتاريخ ١ / ١ / ١٩٦٠ [هأنذا اكتب من جديد . . يوميات كريهة ، لحياة كريهة . . تنتهي بموت كريه مستشعراً كم أنا مجبر على أن أكتب ، كلها أنا مجبر على أن أعيش ، كما أنا مجبر على أن أموت] / مجلة الكرمل عدد ٢ - ١٩٨١ -/ ولكن لماذا عادو حركة ، أحياء دون ماء هذه المرة ، هل ذلك مؤشر على اضمحلال الوجودية ورؤاها السخامية ، هل لأن المسرحية كتبت بعد ١٩٦٥ أي بعد انطلاقة الثورة . . أم ثمة احتمالات أخرى ممكنة .

تلك ملاحظات سريعة حول مسرحيات الناثر الفلسطيني الأول الشهيد غسان كنفاني / ١٩٣٦ - ١٩٧٢ / الذي قتل وهو بعمر لوركا على يد امتدادات العصابة التي اغتالت قمر غرناطة . . ولا بد من وقفة منهجية أخرى تتناول بانسهاب علاقة تلك المسرحيات بمجمل الانتاج الادبي لغسان ومسيرورة تطوره الابداعي والفكري والسياسي ■

Digitized by Birzeit University Library

الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني

غسان كنفاني ولادة الجنس الأدبي الفلسطيني

عبد الرزاق عيد

هذه المقالة لاتزعم تقديم دراسة نقدية عن غسان كنفاني ، بل فهي مقاربة أولية لبعض النواظم الرئيسية التي تتشكل منها القصة الكنفانية .

إن الكتابة عن غسان مغامرة محفوفة بمخاطر إطلاق الأحكام ، والاطمئنان إلى النتائج ، فقصة غسان مرجعها الرئيسي تجربته .

وتجربة غسان الكتابية جماع الهواية والاحتراف ، الهواية بكل نزواتها التجريبية ، وغواية المغامرة في البحث الذي يشرع تساؤلاته أبداً . والاحتراف بكل مافيه من التوكيد على اتقان الصنعة وتملك الوسائل والمهارات .

الكتابة عند غسان مسكونة بالتمرد على المقاييس ، ولذا فالكتابة عن غسان محكومة دائماً باهتزاز المقاييس وضلال الأحكام النهائية .

غسان كمثقف وككاتب وكمناضل ، ارتفع بقامته ليكون بحجم المأساة الفلسطينية ، ولذا فقد كانت الكتابة ممارسة يومية يعيشها ، فلاوقت للتأمل ، لاوقت للندب والتشكي ، لاوقت للمساومات ، لاوقت للأهواء الفردية التتنة ، عصرنا عصر الأهواء الكبرى ، عصر الاتجاهات الكبرى ، عصر التراجيديا الاجتماعية ، فعلى المأساة أن تخرج من مأسأتها ، لتتحقق كملحمة ، لتحقق الكتابة الفلسطينية كفعل يحجم المأساة ، كممارسة لاترتهن لرمادية المقولات الأدبية أو السياسية أو المأساة عندما تعاش كفعل تعال عن الجراح ، تتحرر من الرعش والبوح والألم الوجودي وعسف الكوابيس وصدمة لامعقولية العالم ، لتصبح ملحمة الكفاح الانساني للتسيد على كل الضرورات التي تعيق تحقيق الكائن لكينونته الاجتماعية والانسانية .

بذلك نستطيع القول أن مع أدب غسان كنفاني ، ولد جنس أدبي فلسطيني ، يختصر كل الأجناس في جنسيته ، ولد تعبير فلسطيني ، ولدت لغة فلسطينية وأسلوب فلسطيني ، عماد هذا الجنس أو الأسلوب الفلسطيني هو تحول الفضاء القصصي أو الشعري من خلفية تتحرك عليها الشخصيات الفنية ، إلى عامل فني ، إلى شخصية فنية ، لها دورها الرئيسي في تحديد بنيان العمل الفني ، وهذا الفضاء ، هو فلسطين بمدنها ، بقراها ، بحقولها بأشجارها ، بخضارها وفواكهها ، بترابها ، برائحة الأرض ، بأشيائها الصغيرة وتفاصيل جغرافيتها الدقيقة ، وفي هذا العامل الفني ، انتقل الفضاء من مجرد خلفية ايمائية أو تزيينية ، إلى عامل يتكثف فيه الدال والمدلول معاً .

يكفي القاء نظرة على مجموعته القصصية (أرض البرتقال الحزين) ، لنجد أن معظم عناوين القصص استمدت من عناصر المكان القصصي لا بعد من الحدود ـ الافق وراء البوابة ـ ثلاث أوراق من فلسطين ـ ورقة من الرملة ـ ورقة من الطيرة ، ورقة من غزة ... الخ .

بل إن قصة «أرض البرتقال الحزين» تبني عناصرها القصصية على البرتقال ، ليس كمجاز تعبيري يدل على فلسطين فحسب ، بل كمجاز بنائي يشكل عنصراً أساسياً لاغنى عنه لتحقق القصة كلها ، ايقاعها ، ووحدة التأثير والانطباع فيها . والبرتقال كعنصر قصصي ، يتنامى عبر التطور الدرامي للقصة ، فتتنامى الدلالة عبر النسيج السردي ذاته ، وعبر تفاعل الشخصية مع الحدث المركزي وهو النزوح عن الأرض «حيث حقول البرتقال تتوالى على الطريق» أمام أعين العائلة النازحة ، وعبر النسيج السردي يتأتى عنصر البرتقال كجزء من تفاصيل الحيز المكاني الذي تتوالى فيه الوحدات السردية ، ويتحقق كعنصر موضوعي حيادي كما هو عليه في الواقع الخارجي ، غير أنه كجزء مفرد يتصاعد كقيمة تعميمية حيث يغدو رمزاً لمأساة النزوح ، وبذلك ينتقل من حيادية الوجود كما هو عليه ، إلى انفعالية التعبير كقيمة يتواشج فيها المجرد بالمحدد ، مجرد الدال ومحدد المدلول ، ومع التجريد التعميمي يبدأ تشكل الكيان الخاص عبر اسقاط المخيلة الأسطورية على العناصر مانحة اياها الحياة ، فالبرتقال يصاب باليباس عندما تتغير اليد الساقية .

في المرحلة التعبيرية لم يعد البرتقال مجرد حقول تتوالى على الطريق ، لقد غدا شيئاً جيباً «كانت النساء قد اشترين برتقالات حملنها معهن إلى السيارة ، ونزل أبوك من جانب السائق ، ومد كفه فحمل برتقاله منها .. أخذ ينظر إليها بصمت .. ثم انفجر يبكي كطفل بائس ..» .

والتعبيرية هنا ، ليست محصلة للحضور العاطفي الانفعالي للكاتب ، بل هي نتاج تعانق اللحظة السردية بالوصفية في تحققها النثري الصلب . فالبرتقال يغادر فضاءه كمكان وموضوعات ، حقول ، أشجار ، فاكهة ليصبح مجاله القلب الانساني ، فيشتعل الوجدان بالحنين ، وتنتفض الذاكرة مختلجة بالألم .

وينساق التعبير في تعميميته ليتاخم حدود الأسطورة حيث يذبل البرتقال عندما تتغير اليد التي تتعهده بالماء .

«البرتقال الذي قال لنا فلاح كان يزرعه ثم خرج انه يذبل إذا ما تغيرت اليد التي تتعهده بالماء ..» .

العنصر الأسطوري هنا لايتولد من المحال وكأنه واقع متحقق ، بل يولد من المحال ، وهو يتحول إلى توق إلى حلم شعري ، لاتضيفه علاقات اللغة ، بمفرداتها وتراكيبها ومجازاتها ، بل يتفتق عن شاعريته ، باكتشافه للشعر في علاقات الناس ، في ذاكرتهم وأحلامهم ، في همومهم وشؤونهم ، في علاقات الواقع ومدركاته .

وأسطورة البرتقال تستمد مغزاها من الوجدان الشعبي ، وهي ليست مجرد وسيلة تكنيكية بل هي تنبثق من ذلك اللقاء الحميمي الأليف والعميق بين الانسان والطبيعة ، بين الانسان والعمل ، بين الفلسطيني وأرضه فلسطين ، وبذلك تتفتح الأسطورة هنا عن طاقة جديدة لاحياء الآمال والأحلام المشروعة ، وليست رفرفات الميتافيزيك في فراغ الخرافة .

ويتحقق المعادل الفني لعنصر البرتقال ، من خلال التصاقه بالسياق البنائي للقصة ، كتحقيق لنمو المعادل التراجيدي في الواقع ، حيث تنتهي القصة «لقد دخلت الغرفة متسللاً كأني المنبوذ .. وحين لامست نظراتي وجه أبيك يرتجف بغضب ذبيح .. رأيت في الوقت ذاته المسدس الأسود على الطاولة الواطئة .. وإلى جواره برتقالة .. وكانت البرتقالة جافة يابسة ..» .

فمع تطور الحدث الدرامي في القصة ، كانت تتطور الدلالة المجازية لعنصر البرتقال ، من الواقع إلى التعبير ، ومن التعبير إلى الأسطورة ، ومن الأسطورة إلى الواقع ، وبذلك يتحقق المعادل الفني في المعادل الواقعي ، ويتنامى الواقع مكتسباً أبعاداً جديدة ضمن تطور منطوقه الخاص ، ودون اسقاطات خارجية ، أو مواقف خطابية ، تستبدل موضوعية علاقات الواقع ، بذاتية انفعالات الكاتب .

ونهاية القصة بداية لتعددية الدلالة ، ففي السياق السردي الحكائي ، كان يبحث الأب عن المسدس في ذروة غضبه مهدداً : «أريد أن أقتلهم وأريد أن أقتل نفسي .. أريد أن أنتهي .. أريد أن ..» .

أي يريد قتل نفسه وأولاده ، بعد بلوغه حالة اليأس ، وعجزه حتى عن اطعام هؤلاء الأولاد ، وبعد أن خدعته البلاغات وخدعته الحقيقة بكل مرارتها ، وبعد أن تلاشى الأمل في العودة إلى البيارات ، والصعوبة الماثلة في التحدث عن فلسطين والتكلم عن الماضي السعيد .

فالمسدس الأسود على الطاولة الواطئة ، كان في إطار السياق السردي ، نتاج لحظة التأزم للأب الذي أراد أن يستخدمه لقتل نفسه وقتل أبنائه ، فتلك هي الخاتمة التي تكتمل الحكاية في مادتها الأولى بها .

لكن البرتقالة التي جفت بجانب المسدس ، تفضي إلى احتمال دلالي يتأسس على موضوعية التنامي الموضوعي لسياق السرد في مادته الحكائية الأولى ، وهذا الاحتمال الدلالي ، ينشأ عن علاقات جديدة ، بين المسدس والبرتقالة ، والمسدس والبرتقالة هما عنصران حقيقيان ، لكن السياق الدلالي للبرتقالة يوقظ شكلاً مختلفاً في علاقته بالمسدس ، وهنا تتعدد القراءات ، هل يعني أن الخاتمة هي انتحار الأب ، بعد أن نضبت الأحلام في العودة ، وهل جفاف البرتقالة كان موازياً لجفاف الحياة في داخله ؟ أم أن جفاف البرتقالة استدعى المسدس كوسيلة لاعادة الحياة لها ، للأرض ، للآمال ، للأحلام . هل المسدس كان نهاية حلم أم بدايته ، بعد أن فقد البرتقال اليد التي تعهدته بالرعاية والارواء .

القصة تكتب الواقع في تحققه فاتحة نهايتها على الممكن فيه أبداً ، هي لاتجبره على التطوع للاستجابة للرغبات ، ولكنها لاتوصده دون الفعل والحلم الانساني ، أليست الأحلام والأماني جزء من واقعنا كبشر ، ولولا الأحلام والطموح البشري لما كانت الأفعال ، ولولا الانسان بانفعالاته وأحلامه وأخيلته ، لغدا الواقع شيئاً غريباً عنا ، لاختزل هذا الواقع إلى حدوده الطبيعية الأولى . إن غسان كنفاني يكتب بأمانة عميقة للواقع والواقعية ، لكنه يكتب هذا الواقع لاكواقع جبري بل كواقع انساني .

لانستطيع في مقالة أن نقوم بدراسة تحليلية مستفيضة لقصص غسان ، لكننا قمنا بهذه الوقفة التحليلية لأحد جوانب قصة أرض البرتقال الحزين ، وهي من أكثر قصص غسان ذات المضمون الفلسطيني المباشر ، لندلل على ارتجال الحكم النقدي القائل بأن «أسلوب غسان جيد عندما لايكون المضمون فلسطينياً بشكل مباشر» (١) .

١ ـ من الفصل الذي تشرته الهدف في الذكرى الحادية عشر في تموز ١٩٨٣ ـ لفضل النقيب تحت عنوان هكذا تنتهي القصص هكذا تبدأ .

إن آراء من هذا النوع مدعاة للمساءلة والسؤال بحق ، ترى لو حذف المضمون الفلسطيني من قصص غسان ، فإذا يبقى من التراث الابداعي لهذا الكاتب ؟ إننا إذ نطرح هذا التساؤل ، ليس منطلقنا أبداً الحرص المجرد على أي تراث ، وليس هدفنا الانتساق وراء ماأصطلح عليه الجميع بأنه تراث ابداعي ، فمن حق الباحث أو الناقد أن لايخضع للمتداول والمتفق عليه ، ولكن هذا الحق يبقى مشروطاً بمدى قيمة الاجتهاد ، ومدى تسلحه بالوسائل العلمية الكفيلة بأن يبرر مصداقيته ، أو يثبت جدواه .

إن مجابهة القصة ذات المضمون الفلسطيني ، بقصة (القط) التي لاتتضمن مضموناً فلسطينياً ، واتخاذها معياراً جمالياً ، لايخضع إلا لمقاييس ذاتية ، واختزال العمل الفني إلى موضوعه ، حتى ولو نالت هذه القصة اعجاب الأستاذة الأميركية .

إن الخلط الاصطلاحي بين الموضوع والمضمون ، مسألة متداولة ومنتشرة في الدراسات النقدية العربية ، إلى الحد الذي يصبح من العبث العودة إلى التأكيد على التمايز الجوهري بين مدلول المصطلحين .

ليس في قصص غسان مضمون فلسطيني ، بل هناك موضوع فلسطيني

وليس هناك موضوع فني وآخر غير فني ، فالموضوع هو مادة خام شركة بين الناس ومشاع للجميع ، والمضمون هو اتحاد موضوع العمل بمنظوره ، هو الخاصية الداخلية التي تتسرب في شرايين الموضوع فتمنحه خصوصية تجسده وتشكله ، هو الموضوع متحقق في شكله الخاص ، أو الشكل الخاص متحقق في موضوعه .

من هنا تبرز مأثرة غسان كنفاني ككاتب ، هذه المأثرة تتمثل في وحدة موضوعه وتعدد مضامينه ، إن فلسطين كموضوع في أدب غسان تتحول إلى مجرة مضامين تشع بدلالات لامتناهية ، فلاتناسخ ولاتكرار في مضامين قصص غسان على الرغم من وحدة موضوعها ، ومن هذا المنطلق كان اجتهادنا في أن غسان قد ابتدع أدباً فلسطينياً حتى يمكن تعداده ضمن الأجناس فغسان ينهل من كل المدارس ، لاغناء عناصر التشكل الحي لموضوعه ، لقد غدا موضوعه ، فلسطين ، هاجس استقطاب ، مركز الكثافة في تجربته الحياتية والابداعية ، فمنح موضوعه هذا حياته وملكاته ومواهبه ، مستخلصاً من كل الأساليب الفنية عصارتها فيما يخدم عشقه وتبتله أمام تمثاله الذي يشغل فسحة وجوده الكلي .

لقد ذكرنا أن تجربة غسان الابداعية هي جماع الهواية والاحتراف ، ومأقصة «القط» إلا نتاج هذا الجماع .

ففي هذه القصة ، يجنح غسان جنوحاً تجريدياً لمواجهة اشكالات انسانية ذات صفة وجودية .

فزمن القصة هو زمن الحدث القصصي ذاته ، والحدث يتجرد من

Digitized by Birzeit University Library

ريخيته الزمنية والشخصية ، نواجهها فجأة ودفعة واحدة ، قد غادرت رفاق الورق إلى سميرة التي هي «كل شيء في الدنيا . . سميرة هي الحقيقة . . وإن كل شيء ليس إلا غلافاً يغلف غلافاً آخر ، وأنه ليس ثمة حقيقة على الاطلاق . . سواها ، وهو يكتشف فجأة أنه يتفوق على كل هؤلاء البشر النمل . . »

وفي طريقه إليها ، يشاهد قطاً ، وحينما حاذاه «شاهد ساقيه الخلفيتين مهروستين ، وتكادان تستويان مع الأرض . . كان الدم جامداً ومخلوطاً بشعر القط ، وكانت الساقان ملقاتين وكأنهما ليستا لهذا القط» .

هذا المشهد يحيل بينه وبين تحقيق اللقاء الجسدي المزمع بينه وبين سميرة ، حيث يضع نقوده على الطاولة ، ويخرج إلى الزقاق الكئيب ، بعد حوار لاتواصل فيه عن القط بينا وبين سميرة ، حيث يتساءل كيف استطاع القط المحطم الخلفيتين أن يزحف إلى حيث صنبور المياه في وسط الزقاق ، هل زحف إلى هناك كي يموت هناك !

وهو عندما يسألها عن اختيار بيتها البعيد عن الشارع العام ، تجيبه لكي لايأتيها إلا الزبون الذي يرغبها فعلاً ، فالذين يجبونها . . مثله . . يمشون ساعين إليها . فالقصة تقوم على التناظر في الحالات ، غير أن التناظر في هذه القصة لايتأسس على عناصر بنائية ، بل على عناصر ايحائية بمقدار ماتسمح بتعدد القراءات ، بمقدار مايلفعها غموض الدلالة ، حتى أنها تتوشى بظلال ميتافيزيكية لاترصد الكائن في سيرورته التاريخية ، بل تصفه كوضع انساني ذي طبيعة انتولوجية .

إن غياب الزمان ، كصفة تاريخية للحدث القصصي ، وحضوره كلحظة تطمح لتعميم وضع انساني ، أدى أيضاً إلى تلاشي المكان ذي الخصائص المحددة ، فهذه القصة ذات صفة كينونية ، يمكن أن تحدث في أي مكان ولأي انسان .

وهذه القصة التي اعتبرها البعض ، مثالاً معيارياً ، لاتتناسج في نسيج الخصائص الأسلوبية لكتابة غسان ، بل هي على الأرجح تمثل إحدى المغامرات التجريبية التي تتجاوب مع نزعة الهاوي عند غسان ، والتي لقيت استساغة وتقبلاً لمقاييس كتب النقد الأدبي في مكتبة الجامعة الأميركية .

لسنا في صدد تبخيس القيمة الفنية لهذه القصة ، بل إن هذه القصة وعدد من القصص الأخرى (المجنون ـ قلعة العبيد ـ أكتاف الآخرين) بل يمكن القول إن أكثر قصص مجموعة «موت السرير رقم ١٢» تنحو منحى طرح التساؤلات المجردة عن الوجود الانساني ، من خلال تعميمات المآزق الفردية ، وهي تتأسس بنائياً على التناظر في الحالات ، ومواجهة الاشكالية الانسانية ليس بتنمية ديالكتيك العلاقة الدرامية القائمة بين الانسان والواقع ، بل عبر تنمية ديالكتيك ذاتي ، ومن هنا فقد كان المونولوج إحدى سمات السرد في هذه المجموعة .

قلنا ليس هدفنا التبخيس من القيمة الفنية لهذا النوع من القص ، بل على العكس إنه يؤكد الكفاءات الابداعية لغسان ككاتب ، وقدرته على التجاوب مع التيارات الثقافية والفكرية لتلك المرحلة التي كتب بها غسان ، حيث في هذه المرحلة بالذات بدأت رياح الوجودية ، واتجاهات العبث ، تهب على المنطقة ، ووجد فيها الاتجاه القومي جسره لامتلاك رؤية معرفية متمايزة عن الدين والماركسية .

ففي هذه المجموعة القصصية ، تتكلل كل المصائر بالخيبة والاحباط والصدمة والانسان يواجه مصيره ، كوضع لاكشرط كوجود انطولوجي وكوجود تاريخي . كفرد كطبقة ، وكانت المأساة الفلسطينية تعزز هذا الاحساس المأزقي ، الذي يغلف موقف الشخصية بميحة تراجيدية مآلها الخيبة والاحباط ومزيد من التشرنق حول الذات ، قبل أن تتحول في مجموعته الاخيرة الى مأساة كفاحية .

غير أن الموضوع الفلسطيني ، دخل مرحلة أخرى في مجموعة «أرض البرتقال الحزين» حيث يتحدد الطابع الزمني والمكاني للمأساة ، وتتحول فلسطين إلى شخصية أساسية في بناء قصة غسان ، عبر صبغ الفضاء القصصي بصبغة تعبيرية احيائية ، يتحول فيها المكان من خلفية إلى حضور شامل ، لاتحقق القصة كمالها إلا به لاكموضوع ، أو حكاية ، بل كمضمون وأسلوب وجنس

غير أن فلسطين في هذه المجموعة تبقى مجالاً لتأمل المأساة وعهاد هذا التأمل الوصف .

أما مجموعته «عالم ليس لنا» فهي تتسم بذات النمط القصصي لمجموعته «السرير رقم ١٢» ، غير أن الطابع الاجتماعي يبدو أكثر بروزاً ، وتخفت نبرة مواجهة الشخصية للواقع كوضع ، فالرمز القائم على التناظر والتوازي لم يعد يفضي الى اشكالات انسانية عامة . بل ولأول مرة يبرز المنظور الطبقي في رؤية غسان إلى العالم ، كما في قصته «المنزلق» التي تتحدث عن الاسكافي الذي لايملك دكاناً ، فاتخذ صندوقاً تحت هضبة قصر ، وتتعدد احتمالات موته في مخيلة طفل الاسكافي التي هي مزيج من العبقرية والجنون ، فتارة يروي أن أباه قد مات تحت أكوام أحذية القصر التي لم تتسعها دكانه الصغيرة ، وعندما يشك مدير المدرسة بعقله ويتهمه بالجنون ، ينكر الطفل هذه التهمة ويقول للمدير أن يذهب إلى قصر الرجل الغني وينظر إلى أحذيته فإنه سيجد عليها أطرافاً من لحم أبيه ، بل ربما سيجد عينيه وأنفه في نعل حذاء ما ، وتعليل آخر يقدمه الطفل لموت أبيه ، وذلك تحت قشر الموز الذي كان يلقيه صاحب القصر ، بل حتى معلم التلميذ تشده هذه التخيلات المثيرة عن موت الاسكافي ، فيعزو موته إلى أنه قد دق المسامير على أصابعه بين الحذاء والسندان ، ولما حاول القيام لم يستطع ، والمارة لم يساعدوه ، وبقي ملصوقاً هناك إلى أن مات .

إن لجوء غسان كنفاني إلى دمج المعقول باللامعقول ، ليس وسيلة تقنية يتوسلها كجزء من أسلوبه ، ونحن نستخدم مصطلح الأسلوب ليس بدلالته الاصطلاحية اللغوية والتركيبية ، بل كوسيلة معرفية وادراكية للحياة ، فقليلة هي القصص التي يعمد فيها غسان لهذا الدمج ، إلا حينما يقتضيها حسه الدرامي العنيف بالحياة ، بل إن المرء ليدهش ويفاجأ في سياق قصص غسان ، أن يجد قصة تفصح بهذا العنف ضد لاانسانية العلاقات الطبقية .

غسان كنفاني يعيش الكتابة كفعل مباشر في الواقع ، ولامجال للهو واللعب بالتقنيات وهو عندما يتصدى للاستفادة من هذه التقنية تجدها على درجة من الأصالة وكأنه مبتدعها ، واخلاصه الصميمي للرسالة التي تحملها الكتابة ، يجعل من التقنيات ضرورات داخلية يفترضها العمل بالضرورة ، فتكتسب التقنية اخلاصه .

إن زكريا تامر ـ وهو من جيل غسان ومن أصدقائه ـ أكثر الكتاب توظيفاً لعنصر اللامعقول كوسيلة لتعرية الواقع وفضحه ، غير أن هذه التقنية تحولت في أحايين كثيرة إلى لعبة شكلية لاتفترضها ضرورة داخلية للعمل القصصي ، ومرد هذا التمايز ربما يعود إلى أن غسان يتعامل مع الكتابة كقضية ، كأسلوب ممارسة للحياة والفعل فيها ، وكموقف مسؤول أمام المتلقي تضبطه عقلانية الموقف النضالي واخلاصه .

إن غسان كنفاني كاتب واقعي بالدرجة الأولى ، على الرغم من جنوح بعض قصصه باتجاه التجريد أو استخدام المونولوج الذاتي أو اللامعقول والرمز ، إلى أن كل هذه الوسائل التقنية يوظفها غسان بما يخدم واقعيته الحادة والجارحة في أحايين كثيرة ، فالرمز عنده يفني اللحظة الواقعية دون أن يدمرها ، والتداعي المونولوجي يتأسس على سياق سردي يصل حد محاكاة الحياة اليومية .

ولعل مأثرة غسان في الاتجاه الواقعي ، تتجلى ليس في اعتماده الواقع كمرجع خارجي للحدث فقط ، بل كسياق يتحقق لغوياً وسردياً ووصفياً ، فالجملة القصصية عنده ذات وظيفة عقلانية ، قلما يكمن وراءها مرجع عاطفي أو انفعالي أو انشائي .

إن هذه السمة العقلانية في وظيفة الجملة التعبيرية وفي مرجعها ، نجدها حتى في قصصه «عن الرجال والبنادق» ، هذه المجموعة التي تنتقل بالموضوع الفلسطيني من مرحلة التأمل إلى مرحلة الممارسة ، حيث تخرج المأساة من مأساتها عبر رصد النضال الجنيني المسلح للانسان الفلسطيني الذي راح يكبر على مأساته ، إن موضوعاً يدور حول الكفاح المسلح لابد وأن يستدعي عادة جوحاً انفعالياً عاطفياً واندفاعات رومانتيكية ، إلا أن البنية الذهنية العقلانية عند غسان تكبح جماع الانفعال الذاتي الهش ، وتحقق بنية فنية ذات علاقات داخلية موضوعية صلبة .

فمن القصة الأولى في المجموعة «الصغير يستعير مدية خاله ويشرق إلى صفد» حتى قصة «حامد يكف عن سماع قصص الأعمام» والايقاع القصصي يحافظ على نبرته الواقعية العقلانية ، التي لاتفتعل بطولات مجانية ، ولاأفعال خارقة زائفة .

إن الفعل الكفاحي ينبثق من سيرورة حياة الناس ، ولايسقطه الكاتب اسقاطاً . والشخصية إذ تنخرط في العمل النضالي ، تنخرط فيه دون مقولات أو شعارات تختاره على طريقتها الخاصة ، كما تحيا حياتها ، وتتحدد خياراتها ومشاركتها وفقا لمنظومة مفاهيمها ذاتها ، فأم سعد تتعامل مع القضية من خلال حسها الأمومي البريء والبسيط ، فهي تريد أن توصي الرئيس بابنها سعد ، وعندما يقال لها أن التوصية ، تعني أن يبعد المقاتل عن الخطر ، بينما المقاتلون يتسابقون على المشاركة في عمليات القتال ، غيرت وصيتها بما يستجيب أيضاً لحسها الأمومي فيقر رأيها :

ـ لاأقول لك ، لتكن توصيتك به إلى رئيسه أن لايغضبه قل له : أم سعد تستحلفك بأمك أن تحقق لسعد مايريد . إنه شاب طيب ، وحين يريد شيئاً ولايتحقق يصاب بحزن كبير ، قل له ، دخيلك ، أن يحقق له مايريد . . يريد أن يذهب إلى الحرب ؟ لماذا لايرسله ؟»

الكاتب لايخترع لنا بطولات ، بل من منظومة الاستجابات والميول الأمومية ينبثق الخيار البطولي ، فالأم حقاً حريصة على الحفاظ على أبنائها ، ولكنها في الآن ذاته حريصة أيضاً على الاستجابة لرغباتها ، فما دام سعد يريد الذهاب إلى الحرب ، فلماذا يخيفه الرئيس ؟

فمن نسيج بساطة حياة الشعب ، تصاغ الأفعال البطولية ، وهذه الأفعال ترتهن في شرطيتها إلى الخصائص التي تميز سيماهم الذهنية والنفسية والسلوكية والمزاجية .

في هذه المجموعة القصصية «عن الرجال والبنادق» لم نعد تجاه الاشكالات الفردية التي تعمم على أنها اشكالات انسانية عامة ، بل أصبحت الشخصية القصصية تحمل خصائص النمذجة ، فالصغير الذي يستعير مرتينة خاله بمبادرة خاصة منه ليشارك في حصار القلعة ، يصبح الصغير الفلسطيني عامة ، مع الحفاظ على تشريات الحياة اليومية والاجتماعية به كشخصية مفردة ، وهو إذ يقاتل بواسطة مارتينة خاله العتيقة ، إنما يعبر بذلك عن إرادة المواجهة والبطولة الشعبية التي لم يتوفر لها الحد الأدنى من امكانيات المواجهة أمام العتاد التكنولوجي الانكليزي الحديث وهو يدخل المواجهة مع الانكليز والصهاينة معاً ، ولايملك سوى ارادته وحسه الوطني ، وعشق بريء للأرض ، ووعي ساذج للعالم .

وبذلك تكتسب الكتابة ايقاعها الملحمي ، من خلال الطابع الشعبي الذي يسم الفعل البطولي للشخصية القصصية .

وتدخل التاريخية كسمة ، تطبع الحدث وعلاقته بالشخصية فالزمن القصصي ، يتجاوز المفهوم التزامني القائم على راهنية وضع الشخصية ليتحول إلى جدل علاقة بين الزمني والتزامني ، بين التاريخي والراهن ، بين الماضي والحاضر .

ففي قصة «حامد يكف عن سماع قصص الأعمام» يغدو الراهن الزمني ، ووضع الشخصية تحقيقاً لاللفعل القصصي في راهنة اللحظة السردية ، أي بالوضع الانساني بمعزل عن شرطيته التاريخية ، بل يمتن بسببية تجد مغزاها في الانشداد الى الحدث في تاريخيته الزمنية ، إلى طفوله حامد الشقية ، حيث ضياع الأخت وسقوطها ، والمعاناة الشديدة التي هي وليدة الظروف الاجتماعية ليست هنا في سياق المأساة الفلسطينية سوى الذل والخيبة والخوف والسقوط ، مقنعة بقناع الحكمة ، لقد «سمع حامد كثيراً ، كثيراً جداً ، إلى أطنان من الكلمات والقصص والعويل ، لم يكن بوسعها أن تقتل ذبابة واحدة ، لم يكن بوسعها أن تطمر حقيقة واحدة ، وهي أن أخته قد سقطت ، ولذلك قرر حامد أن يكف عن الاستماع إلا لتقوض جبل الفولاذ (الدبابة التي دمرها) والتي أخذت سمعه ، فلم يعد في آذانه سوى دوي الانفجار ، فهو الصوت الوحيد الذي يطمر كل ماعداه ويدفنه .

إن استخدام غسان للمجاز في هذه القصة لايستند إلى أية علاقات بلاغية ، بل تنبثق الدلالة المجازية من علاقات الحضور للعوامل القصصية ذاتها ، فهو مجاز بنائي عقلاني يستمد دلالته من التشكل الهيكلي لمعماره الفني القصصي ، حيث لايدمر الرمز الواقع بل يغززه ويغني المضمون التعميمي له .

إن تفجير الدبابة الذي أخذ بسمع حامد ، كفعل قصصي متخيل فنياً وقابل للتحقق واقعياً يستثمره الكاتب باقامة علاقات تواز وتناظر بين ماض كان فيه يسمع ، لكنه لايسمع سوى التشكي وأنين حكمة الصبر والظروف ، وبين حاضر أصبح فيه أصم ، لكنه صمم عن سماع أنين الحكمة والتشكي ، وصدام التقيضتين (السماع وعدم السماع) يؤدي إلى قلب في سلم القيم ، فالسماع كايجاب يتحول إلى سلب ضمن سياق القيم التي تطرحها القصة ، والصمم يصبح ايجاب ضمن السياق ذاته ، فالصمم كمأساة في سلم القيم في الواقع الخام ، يصبح مأثرة وقيمة في الواقع الفني والكاتب

في قلبه لهذه المعادلة لايلجأ إلى المجاز البلاغي الذي يفترض علاقات غياب تُشبَّه بعلاقات الحضور ، فيضمحل المحسوس لصالح المجرد الغائب ، بل عبر علاقات الحضور ذاتها كعوامل روائية ، تستند إلى مرجع الواقع ذاته ، وبذلك يغيب الخطاب الذاتي للكاتب ، خلف استقلالية حركة الحدث والشخصية . وغسان كنفاني ربما الكاتب العربي الوحيد الذي لاتغدو القصة ، جزءاً من سيرته الذاتية ، والشخصية تنويعات على سلم أناه ، وربما في ذلك سر أن تكون فلسطين موضوعه الدائم ، لكن الموضوع الذي يشع بمجرد دلالاته ومضامينه المختلفة والمتنوعة ، والذي لانجد قصة له تتشابه مع أخرى .

فثره القصصي تحقيق للواقع بثرياته اللانهائية في تنوعها وتجددها ، وموقف مسؤول من الحياة والواقع والقضية ، وفي ذلك سر تلك العقلانية الأسلوبية ، كبناء وكإدراك ، هذه الخاصية العقلانية ربما هي أيضاً سر تطوره الفكري من القومية إلى الماركسية كمنظور معرفي وجمالي وسياسي .

وغسان أيضاً الكاتب العربي الوحيد الذي تنطبق عليه بجدارة عميقة مقولة بيلنسكي ، (في أن عصرنا لن ينحني إلا لهؤلاء الذين تكون كتابتهم أفضل تجسيد لحياتهم ، وحياتهم أفضل تجسيد لكتابتهم ، واستشهاد غسان كان أفضل امثولة للموقف في الكتابة والحياة ، وأفضل امثولة عن هؤلاء الذين ينحني عصرنا لهم بجدارة ، واهتمام العالم التقدمي والعربي وشعوب أمريكا اللاتينية المكافحة بأدب غسان أفضل تعبير عن هذا المغزى .

Digitized by Birzeit University Library

الذكرى الثانية عشرة لاستشهاد غسان كنفاني

من يوميات غسان كنفاني

هذه مقاطع من يوميات غسان كنفاني ، كتبها بين ١٩٥٩ و١٩٦٢ ، نشرتها «السفير» بتاريخ ٨/ ٧/ ١٩٨٤ وكان القسم الاول منها قد نشر في «الكرمل» العدد الثاني ربيع ١٩٨١ .

١١/ ١/ ١٩٦٠

انني لست اعتقد ان عملية الخلق تتوقف على نتيجة هذا الذي خلق . . ولكنني اتصور ان متعة العملية هي العملية ذاتها . . ان يخلق الانسان شيئاً . . ان يمارس كونه لايقلد الآخرين ولكنه يتخطاهم . . هذه هي المتعة ، أما النتيجة فهي آخر مايؤثر . .

انني حينما ارسم لاأطمع في أن يجوز الرسم استحسان الآخرين ، ولكنني اعتز به لانه نتاج لحظة لا يفهمها الا من مارسها أو مارس شبيهها . . . وهاهنا يمكن الفرق بين عمل اعتز به لانه أنا . . . وبين غروري به لانه لايمكن ان ارى احسن منه . . . ان الذي لايفهم موقف الانسان من عمله يكون قد ابتعد عن عنصر الفهم الانساني ككل . . .

١٥/ ١/ ١٩٦٠

رأيته بأم عيني . . . وحينما سرت القشعريرة في جسمي كان إلها ماصب على رأسي قارا مغليا رفعت كفي اغمض عيني حتى لاأرى اكثر . . .

اكنت خائفا ان يصفع المنظر اعماقي فيودي بما تبقى من كبريائي ؟ . . . أم انني كنت لااريد ان ارى كيف يذل الانسان نفسه من أجل ان يحتفظ بحياته ؟ . . . . كيف يناضل طفل بكل مالديه من طاقة كي يصير كالآخرين ؟؟ كيف يسحق كبرياءه بارادته من اجل ان يعيش ؟ . . . . . .

كان ، في رأيي ، كمايلي - طفل صغير ، يتحدى إلها كبيرا كبيرا . . . طفل قزم ، يشد عنقه المتوتر الى حضارة الخزي ، ويبصق في وجهها . . . طفل تجثم على صدره كل اخطاء الرب . . . ولكنه يدفعها باذلا جهده في ان يتغلب عليها . . .

لماذا يتعذب طفل دون ان يخطىء ؟؟ اننا نعرف كيف ، ولكننا لانعرف لماذا ، اليس هذا صحيحا ؟؟

بدأت القصة بانني وقفت على شرفة غرفتي اراقب مباراة في كرة القدم بين فريقين من اطفال الحي . . جمال المباراة كان في الجهد المبذول لافي مستوى اللعب . . بدا لي في لحظات . ان العالم كله ، والله ، والحضارة ، لايعنون بالنسبة لهؤلاء الصغار سوى نتيجة هذه المباراة . . وهكذا كانت الدنيا كلها مخلوعة الى خارج طموح هؤلاء الصبية ، وكانت السعادة شيئا يمكن ان ينال بواسطة بذل الجهد فحسب . . .

وفجأة برز بينهم ، كان يلبس سروالا أسود قصيرا وقد ارخى قميصه الطويل فوقه ، شعره كان مشوشا ، ووجهه يتسم بعناد رجولي لايتناسب وعمره ، كان صدره عريضا ، ولايتناسب على الاطلاق مع تلك الساق التي كانت تشبه خيطا من القنب ، والتي كان ينقلها الى جوار ساق سليمة ، ينقلها مشوهة ، مرتخية ، نحيلة ، لينة ، مشلولة . . . .

وكان يركض بكل جهده ، عناد رجولي في وجه طفل ، كان يخجل ، نعم هذا اصح : رافعا ساقا سليمة ، مترثيا على ساق كريهة ، مشلولة نحيفة كأنها ليست لهذا الجسد المتفجر بالحياة والجهد . وكان وجهه ، الى ذلك كله ، جميلا . . . .

أكان جميلا فعلا ؟؟؟ . . . لماذا يتعذب الطفل بلا سبب ؟؟ كانوا يلعبون هناك ، صغارا ، باذلين جهدا خارقا كأن الحياة كلها لاتعني لهم سوى ان يصلوا الى نتيجة مشرفة ، او كانت كذلك فعلاً وكان هو بينهم . . . وكانوا لا يعاملونه بشفقة او مجاملة ، وبدا لي انه كان سعيدا بذلك الى آخر حد سعيدا لانه اقنع نفسه للحظة بانه سعيد !! لماذا رفعت كفي الى وجهي واخفيت هذا المنظر عن عيني ؟ . . . .

الأنني شعرت كم هو كبير وكم أنا صغير ؟ . . . الأنني عرفت كم يناضل الانسان من أجل ان يجعل حياته اكثر معنى «واكثر جمالا» ؟ ام لانه لم يرق لي ان يبيع الانسان كل حياته في سبيل لحظة كرامة واحدة ؟ . . . .

٢٣/ ١/ ١٩٦٠

الخوف ، الخوف فقط هو الذي يدفعهم لكتابة تلك الكتب ، وليست الحقيقة على الاطلاق . . . ان الذي يكتب بدافع من شعوره بانه خائف ليس كمن يكتب بدافع من شعوره بأنه يبحث عن الحقيقة .

٧/ ٢/ ١٩٦٠

صديق عزيز احبه واحب صدقه ارسل يقول لي : «اسمع ياغسان انني لاأجاملك وانت تعرف ذلك جيدا ، ولكنني بكل صدق وبكل اخلاص ارى فيك اشياء كثيرة . . .» وبعد يوم واحد وصلتني من صديق آخر ، في امريكا ، رسالة ثانية فيها : «أنا اؤمن بك ياغسان وأومن انك تستطيع ان تحمل القلم وتعبر عن القضية انك تملك ذكاء الاحساس ، وتملك الخيوط التي تستطيع ان تستر الحقائق لتعانق ضمير الانسان . . .» .

اي شعور راودني حينما قرأت كل هذا ؟؟ احسست بسعادة بلا شك . . ولكنني ايضاً لم استطع ان احرر نفسي من قلق مفاجىء . . . اذا كان هذا الكلام صحيحا فانا في وجه مسؤولية قاسية . . مامعنى هذا الكلام اذا لم اكن جديرا به ؟؟؟ لقد قال لي استاذ يرأس تحرير مجلة ادبية ليلة امس . . «انت تكتب جيدا . . كلمتك تصل الى اعمق الاحاسيس . . سوف يكون لك مستقبل هائل !!» ماذا يعني هذا الكلام اذا لم اكن جديرا به ؟ . . . لقد امضيت طوال اليوم مفكراً . . والقلق يمزقني . . هل استطيع ان لااخيب آمال هؤلاء الذين احبهم بكل قواي ؟ . . . .

ماذا افعل من اجل ان اكون في مستوى الآمال التي يعقدونها علي ؟؟ إنني اشعر احياناً بعجز هائل وارى نفسي في المؤخرة . . عندها تبدو لي هذه الكلمات التي اسمعها مجرد شتائم تصفع وجهي بلا رحمة !

حينما افكر بأن كلمات من هذا الطراز تصفر فوق عنقي كسوط القدر اشعر بالخوف . . ان يكون الانسان غير واثق بنفسه في نفس الوقت الذي يبني الآخرون كل امالهم عليه يضعه في موقف حرج . . . ويسأل من جديد كطفل اضاع سريره : هل استطيع ان لاأخيب آمال هؤلاء الذين احبهم بكل قواي ؟؟

١٠/ ٢/ ٦٠

هذا الصباح كنت اشتم وانا اغرز الابرة في جسدي حينما سمعت من الراديو صوت المقرىء : «او تحسب انا تركنا الانسان سدى . .» لقد فوجئت حينما توافقت العمليتان في لحظة واحدة . . . وقرأت اليوم في «الفلسفة الوجودية» ان «الايمان اعلى من الذكاء» على لسان كيركغارد . . انني اتصور ان الايمان صدفة . . . ان الصدفة وحدها هي التي تأخذ مكانها فوق الذكاء . . . اليست الصدفة هي مجرد التقاء مفاجىء بين المعقول واللامعقول دون اي مبرر ؟

٥/ ٣/ ١٩٦٠

انني خائف اشد الخوف . . . ثمة اشياء تجري في جسدي ، وامسها بوضوح مرعب ، ورغم ذلك فانني لاارغب في ان اشرحها لطبيب او يشرحها لي طبيب . . . اني اعلم بوضوح الآن ، ايضاً ، ان الطمأنينة اهم من الموت . . . ان يكذب الانسان على نفسه ارحم الف مرة من ان يواجه بحقيقة مرة . . .

ليلة امس لم انم ، اطلاقاً ، كلما غفوت هنيهة صحوت برجفة غريبة وكأن شيئا ثقيلا يهوي على صدري ، أو من صدري ، لست ادري . . ولكن الاهم من ذلك انني احس الماذا طراز غريب في اصابع قدمي . . . اعرف تماً هو خطر ان يحس المصاب بالسكر هذا الاحساس . . . ورغم ذلك فانا لست راغبا في رؤية الطبيب ، بل انني تجاهلت اليوم موعدي الاسبوعي معه . . . احياناً اعتقد انني واهم في احساسي لان الاطباء حدثوني في هذه الفترة كثيراً عن مثل هذه الانوع من الالم . . واخاف ان اكون سقطت في الوهم . . . الا ان هذا الشيء يخيفني اكثر . . . ان اكون فقدت ارادتي الى هذا الحد واصبح الوهم يبدو لي حقيقة . . كأي انسان ساذج كنت اسخر منه .

يالهي ! ارحمني من نفسي ، اما اعدائي واصدقائي فأنا كفيل بهم . . .

٦/ ٧/ ١٩٦٠

هانذا في دمشق من جديد . . ورغم ذلك فالغربة مازالت تعوي في رئتي واحسها تدوي في عروقي كدوامة من العدم . . .

الشيء الواضح ، لي الآن . . انه قد حكم علينا بالغربة ، الغربة في اقسى مظاهرها . . . ان الواحد منا يحس بانه قد انخلع عن ذاته دون ان يتوصل الى استقرار جديد . . . ولذلك فهو يعتقد بأنه بعيد عن الاشياء . . . اما الحقيقة فهي في انه بعيد عن ذاته . . .

احس هذا احساسا مقيتا يجعلني ابدو حاقدا وكريها ومعقدا . . . ولكن لا سبيل الى الخروج منه . . . واللحظات التي احاول فيها ان اغرق نفسي في بهجة ما ، لحظات قصيرة ، ومسطحة ، ومفتعلة وتكاد تشف عن آبار عميقة من الظلمة والغربة . . . .

٥/ ٢/ ١٩٦١

يبدو لي كأنها الرحلة القصيرة على وشك ان تنتهي . . . واحس نهايتها احساسا مباشرا كريها . . . . عشت اليوم ساعات مقطعة ، واتصور الآن ان ساعات بعض هذا النهار كنت فيها ميتا

نعلا . . . اني ارجف ، لسبب لست ادرية ، وفي نفس الوقت ، افكاري ترجف كما لو انها جسد ينتفض باحتضار غريب . . افكاري كانت اليوم شيئا يشبه شريط تسجيل رطب ممسوح عفوا ، في بعض نواحيه . . . وهكذا فانه يمر فوق انقطاعات صامتة ، قصيرة ، ميتة . . . ورغم كل ذلك ، فهي موجودة بشكل ما . . . .

اي شيء كريه ان يموت الانسان ! والابشع ان يكون جسده هو السبب في الاسابيع الاخيرة كنت افكر بصورة تثير ضحك بعض من اعرف . . . ذلك اني كنت عائدا الى البيت في منتصف الليل ، كان الشارع خاليا الا من اعلانات مضيئة : تنظفيء ، وتشتعل برتابة . . . . حمراء ، وخضراء ، وبيضاء . . . وفجأة فكرت : ان الماساة كلها ، هو انه عندما اموت سوف تبقى هذه الاعلانات تضيء وتنطفيء ، وسوف يبقى مصعد بيتنا يلبي كلما ضغط احدهم على الزر ، وأشيائي كلها سوف تباع ، لينام عليها ، وليستعملها انسان آخر . . والمجلة التي اعمل فيها سوف لن تكف عن الصدور . . . وسوف يرن جرس الهاتف ، ويجيب احدهم : «انه مات» ثم يضع الآلة السوداء ، ويفكر في غدائه . . .

لقد بدت لي الافكار هذه راعية بصورة جارحة . . . وارهقتني فكرة ان اموت . . . ان انتهي ، ويستمر كل شيء . . . . .

الرحلة لن تطول كثيرا . . هذا هو الشيء المؤكد لدي الآن . . . والذي يحدث في جسدي ؟ اي شيطان يذيب بنار اسطورية كل جوفي ؟

■

Digitized by Birzeit University Library

النهاية التي لا تنتهي

الياس خوري
وعن السفير

٨ تموز ١٩٧٢ ، انفجر غسان كنفاني اشلاء في بيروت وغاب في المصير الذي صنعه «ابطاله» له .

٨ تموز ١٩٨٤ ، كان جسد غسان كنفاني مايزال مشتعلا في شوارع المدينة التي حملت اشلاءه وحملت كلماته وحملت هذا الحزن الفلسطيني الذي يجرفنا .

١٢ سنة ، والعمر يمضي بنا في رحلة الكتابة ورحلة الموت ورحلة البحث عن الافق الذي اضعناه ، ومانزال نحمله في اجسادنا وقد ثقبه الرصاص كما ثقب البرق الاحمر جسد الارض .

ونسأل غسان ، وغسان غائب او حاضر أو يعيش داخل المسافة التي تفصل فلسطين عن عيوننا ، نسأله ويسألنا ، وندخل في حوار طويل مع «ابطاله» الذين تركهم على الورق ، فخرجوا من الاوراق ودقوا جدران الخزان واحترقوا على متعطفات النار ، وركبوا البحر ، ودخلوا في العيون .

تفتح الكتب فتعثر على الكلمات ، والكلمات شفافة كالماء ، تقول دون ان تقول ، تكشف وتخبىء ، ونسرى ، نرى وجوهنا ونرى الارض ونرى القاتل والقتيل والزمن الذي غدرنا به فغدر بنا .

وغسان كنفاني كان مسكوناً بنار الرؤيا ، لم يشعل النار بل اشتعل بها ، لم يرث الشهداء بل كان اولهم ، لم يكتب عن فلسطين بل انكتب بها ، ورأى ، لانه رأى لم يجعل من رؤيته حجابا بل فتح الرؤيا على الرؤيا ، وغاب في عينيه وفي أحلامه المكسورة .

لانذكر غسان كي ندخل في لعبة المراثي ، فالرثاء لم يعد ممكنا وتكريم الكاتب حين يداس الناس بالاحتلال ليس تكريما ، نذكره كي لاننسى وجوهنا ، نحاوره كي نفتح الحوار مع انفسنا نستمع الى صراخ «ابطاله» ، كي نصرخ نحن وسط هذا الوجع وهذا الحلم الممزق وهذا الافق المثقوب .

نذكره كي لاننسى الكاتب الذي ذهب في الكتابة الى نهايتها فصار هو ضحية كتابه غير المنتهي ، وكي لاننسى المناضل الذي ذهب في نضاله الى الكتابة . . . وحين وصل الى لحظة الوحدة أو اقترب منها غاب ، كأن الوحدة مستحيلة ، أو كأن الجسد المنهك بالامراض لم يستطع احتمالها .

لذلك لم يغب في النهاية غاب في اللحظة غير المنتهية ، كأنه جعل من جسده كتابه الاخير . وكما في كتبه حيث نقرأ شفافية الواقع من خلال الكلمات ، كذلك جعل من جسده كتابة تشف عن الواقع ولاتقوله .

النهاية التي لاتنتهي
النهاية التي تبدأ لحظة تنتهي
الموت الذي لايشبه الموت .

اليست هذه هي فلسطين الحقيقية ، فلسطين المخيمات التي التهبت فيها الذبيحة ، وفلسطين المنافي التي غادرها عشاقها .

وفلسطين هي احد اسمائه .

نقرأه ، فنراها وهي لاتزال تتلألأ وسط غابة الماء .

نقرأه ، فنستمع اليها وهي تنتشر فوق ارض الجنوب .

نقرأه ، فنرى الجنوب وهو يمتد من عيوننا الى آخر الجسد .

نقرأه ، فنكتب عن مقاومتنا للموت ، وعن اصدقائنا الذين لم يسقطوا الا ليرسموا الحلم من جديد .

وكما «العاشق» على فرسه ، نرى الكلمات تتجدد مع الارض التي لاتموت ، ونرى لبنان وقد صار احد اسماء هذا الحلم الذي علمنا غسان كنفاني كيف لانتركه يسقط حتى حين نسقط نحن

أنا حتفهم ألح البيوت عليهم
اغري الوليد بشتمهم والحاجبا
الجواهري

محيي الاشيقر

وجه السفير

طلقتان !؟

يالدناءة الأعداء جميعاً : دولاً وملوك طوائف وتجار حروب وصهاينة وانعزاليين ومرتزقة : أعداء لبنان ، أعداء فلسطين ، أعداء الأمة ، جلادي الثقافة ، لصوص الكلمة ، أوغاد العصر الاسرائيلي ، الحاقدين على الحياة والديمقراطية .

بهذه الطريقة يجتمع أعداء هذه الأمة جميعاً ليطلقوا رصاصتين على رأس الصحفي والكاتب العربي طلال سلمان .

وهذا كل مايمتلكه أعداؤنا . إذن ، نحن لازلنا على قيد الحياة ، إذن ، لايزال نسغ أرواحنا متواصلاً وبهياً ، لاتزال الكلمة الشريفة والشجاعة هي الأمضى ، لايزال القلم مدية مرهفة بمستطاعها أن تشطب الجانب الرديء والتافه من زماننا ، وتحفر بايمان وصبر عظيمين كي يندلع وجهنا ، وجه مستقبلنا الذي يصنع يومياً على يد أبناء لبنان وفلسطين وهم يتوضؤون بدمائهم .

إن هذا الدفق المقدس من دم مبدعي ومثقفي هذه الأمة هو بشير خلاصنا ، هو المطهر الذي نخوض فيه عن عمد ، وبجسارة (بقدرها) الأعداء ، ولاسبيل لهم إلا باشهار كواتم صوتهم !

حقاً . . كان من المنطقي ـ في قوانين الغاب والوحوش وسليلي المهاليك والانكشاريين والمتخلفين ـ أن يطلقوا النار على طلال سلمان ، وبالتالي على «السفير» وهي الحمامة التي تنقل بالعلن يوميات المقاومة اللبنانية ، وهي تتصدى للانعزالي ، للطائفي ، وللفاشي . . وهي تحاول أن تنشر النص الابداعي الجميل ، أو الدراسة الراكزة .

وهكذا . . كان من (المنطقي) أن يغتالوا شهيد الثقافة والفكر العربي غسان كنفاني في تموز ١٩٧٢ . . وبعده كما ناصر ، باسل الكبيسي ، ماجد أبو شرار ، وحنا مقبل . . وغيرهم من رايات ثقافتنا الحقيقية ممن استشهدوا أو ممن بقوا بين ظهراني التجربة يسألون ويؤشرون ويقاومون .

إن محاولة اغتيال طلال سلمان ، وهي محاولة لاغتيال السفير ، ولكن فات على الأعداء بالمطلق . . أن طلال سلمان كما غيره من الأصوات الشجاعة في ثقافتنا العربية يضربون بجذور لاأحد بمستطاعه قلعها ، وإن «السفير» لم تعد صحيفة بالمعنى الفج والمتعارف عليه إنها مدرسة للديمقراطية ، وهاجس تواصل سوف لن ينقطع ولاأحد بمستطاعه أن يغتالها . . وإلا فليغتالوا البحر والناس والشجر !

إن القتلة استطاعوا اغتيال غسان كنفاني ، وحاولوا اغتيال بسام أبو شريف . . ، لكن «الهدف» بقيت ، لأنها كما كل المنابر الشجاعة ، تحولت إلى ملكية الناس ، ملك هواجسهم . . ولم تعد ملك أحد .

وهاهو غسان كنفاني حاضر بيهاء

وبشجاعة : في كل كلمة صادقة وحقيقية يعبر عنها أي مثقف أو مبدع ،

والمجلة التي أسس ، والأفكار التي بذر ، لاتزال مستمرة ويانعة .

وهاهو طلال سلمان تعيده لنا

الحياة ، تعيده نبوءات أطفال لبنان ، ومقاومة أبنائه ، وهاهي «السفير» تحمل

وساماً آخر في مسيرتها الرائعة ، باستمرار بقائها منبراً عربياً تقدمياً

شجاعاً ، تنطق باسم من لاصوت لهم في لبنان ، وفي الوطن العربي .

فسلاماً طلال سلمان

ومجداً «للسفير»

Digitized by Birzeit University Library